جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنين بدسوق

الفكر السياسي في الشعر الأموي
المحتوى والفن

إعداد الدكتور
سعيد أحمد غراب
مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد الله رب العالمين ، نحمده ونشكره ، ونستمطر المزيد من نعمه وآلائه ، ونصلى ونسلم على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، النبى الأمى الهادى البشير ، وعلى آله وأصحابه ،نجوم الهداية ، وأعلام الرشاد.

أما بعد :

فقد درج شعراء العربية منذ العصر الجاهلى على التعبير عن وجوه حياتهم ، سواء منها ما يتصل بالقبيلة فى حياتها المستقلة ، أو بغيرها من القبائل العربية المجاورة سلما وحرباً ، من أجل الصراع على ضروريات الحياة ، وقيمها المادية والاجتماعية التى تمثل محوراً رئيساً للحياة العربية .

وعلى الرغم من وجود لون من العلاقات بين القبائل العربية – سلما وحرباً– إلا أنها لم تبلغ درجة من النضج والاكتمال ، بحيث يسوغ لنا أن نسميها علاقات سياسية ؛ فالعربى – فى ذلك الوقت– لم تكن قد اكتملت لديه مقومات الدولة أو الشعب الذى يرتبط بالسياسة الناضجة ، وإنما ظل مرتبطاً بكيانه القبلى المستقل ، وقد عبر الشعر الجاهلى عن ذلك خير تعبير ([1])

وحين ظهرت الدعوة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، بدأ مفهوم السياسة يشيع وينتشر بخطى وئيدة ، وذلك حين استطاع صوت العقيدة الجديدة أن يعلو كل الأصوات التى كانت تدين بالانتماء القبلى ، لاسيما بعد أن جاءت جحافل القبائل العربية من كل صوب وحدب تعلن انتماءها للدين الجديد ، الذى جمعهم حول مبدأ موحد وهو الإيمان الذى تمتزج فيه العقيدة

---

[1] – للباحث دراسة بعنوان : الهجاء الجاهلى ودوره فى توجيه الحياة العربية والمحافظة على القيم ، وفيه يبدو العربى حريصاً على المحافظة على كيانه الاجتماعى القبلى دون أن يشعر بأية حدود تفصل حياته الفردية وتجاربه الخاصة عن حياة قبيلته وتجاربها .

بنظام الحكم ، وبناء المجتمع ، وعلاقة المسلم بغيره من أبناء المجتمعات والديانات المختلفة وهى أمور سياسية بحتة كما لا يخفى .

وحين تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة – بعد مقتل عثمان بن عفان – أفضى ذلك إلى قيام وجهات نظر سياسية متنافرة حول مسألة الخلافة ، وما لبثت تلك الوجهات أن تحولت إلى أحزاب سياسية قوية ، كل منها يحاول تأكيد موقفه ، وإثبات أحقيته فى الخلافة عن طريق تقديم بعض الحجج العقلية، والتأويلات الدينية .

فالشيعة : يرون الخلافة فى عليّ وأبنائه من بعده ، متكئين – فى ذلك – على قرابة الإمام على من الرسول (ﷺ) ثم صحبته الحميمة له ، ثم لعلمه وورعه وتقواه .

والخوارج : يذهبون إلى ترك أمر الخلافة شورى بين المسلمين ، ويختار له الكفء والأصلح ، ويقدمون كثيراً من النصوص الدينية الصريحة التى تنادى بالتسوية بين المسلمين .

والزبيريون : يرون أن الخلافة حق لقريش على إطلاقها ، ويختار لها الكفء والأصلح ، وليس أصلح لها من ابن الزبير .

ولأن مدتهم وسلطانهم لم يدم طويلاً ، فإنهم لم تتكوّن لهم فلسفة سياسية خاصة ، ولم يظهر لهم حزب سياسى بالمعنى الصحيح .

أما الأمويون : فقد كان موقفهم من أمر الخلافة ضعيفاً بالنسبة لغيرهم مـــن الأحزاب الأخرى ، فهم لم تبلغ قرابتهم للرسول (ﷺ) مبلغ قرابة على له ، كما أنهم لم يكن لهم من الورع و التحنث الدينى ما لعلى وأولاده...

ومن هنا ، راحوا يقدمون أنفسهم للناس على أنهم رعاة الدين ، وحراس العقيدة ، وهو ما يمثل حقاً أصيلاً لهم فى الخلافة من وجهة نظرهم .

والناظر فى هذا الشأن " يرى أن العقيدة ظلت محوراً لتلك الخصومات السياسية بين تلك الأحزاب، يلتمس كل حزب فيها بيانا لحقه وإعلاءً لشأنه ،

وتأييداً لنظريته ، ويرمى سواه من الأحزاب بالخروج عليها فى السلوك ، والأخلاق ، ونظام الحكم " (١) .

ومن هنا يمكن القول : إن الشعر السياسى لم ينهض نهضة ملموسة ، ولم تتشكل له ملامح محددة فى عصر ما ، كما حدث ذلك فى العصر الأموى .

ولقد دفعنى إلى دراسة موضوع " الفكر السياسى فى الشعر الأموى " أمور عديدة منها : ما شاع على ألسنة الدارسين من أن الشعر السياسى فى العصر الأموى ، كان سبا محضاً بين الأحزاب ، وقذفاً صريحاً ، وخروجاً على أصول الدين ، وقواعد الأخلاق، والحق يخالف ذلك ويجافيه ؛ فاختلاف الانتماء الحزبى – كما سيظهر من هذه الدراسة – ساعد على خلق لونٍ من الجدل والحوار الفنى المفيد بين الشعراء ، وقد أدى هذا – بدوره– إلى تجويد الفن الشعرى فى تجاوب فكرى وأدبى رائع بين كافة شعراء الأحزاب .

ومنها : أن العصر الأموى من أكثر فترات التاريخ العربى الإسلامى إثارة ، وقــد كان الشعر السياسى هو صانع هذه الإثارة ، والداعى إليها ، ورافع أعلامها كما سيتبين لنا خلال هذا البحث

ومنها : أن السياسة فى العصر الأموى استطاعت السيطرة على الجميع الفنون الشعرية ، وأن تدخلها دائرتها ، فالمدح مدح سياسى ، والهجاء هجاء سياسى ، والرثاء رثاء سياسى ، حتى الغزل دخل دائرة السياسة ، حين كــان بعض الشعراء يقومون بالتغزل فى نساء خصومهم ؛ تشهيراً وإزدراءً ، وإساءة إلى نسائهم .

وهكذا ، نرى أن الفكر السياسى المتصارع فى العصر الأموى ، كان له أثره الواضح على شعر الأحزاب السياسية المختلفة ، مما يجعل هذا الشعر

---

١ – فى الشعر الإسلامى والأموى ، د. عبد القادر القط / ٢٧٣ ، دار المعارف ١٩٩٥م .

قمينا بالإنصات إليه ، والاقتراب منه لفهم ما يتضمنه من فكر وفن غاية فى الروعة والجمال

وجرياً عل العادة فى البحث العلمى ، جعلت هذه الدراسة قائمة على : مقدمة ، وثلاثة فصول .

الفصل الأول ، ويحمل عنوان : المنطلقات الفكرية والعقدية للأحزاب السياسية فى العصر الأموى .

الفصل الثانى ، ويحمل عنوان : الاتجاهات الموضوعية لشعر الأحزاب السياسية فى العصر الأموى .

الفصل الثالث ، ويحمل عنوان : الخصائص الفنية لشعر الأحزاب السياسية فى العصر الأموى .

ثم أعقبت ذلك بفهرس للمراجع والمصادر ، ثم فهرس للموضوعات ، وقد ركزت – فى هذه الدارسة – على أن يكون الكلام جديداً ومركزاً ، كما حاولت – قدر استطاعتى– طرح الحشو والفضول ، والقصد إلى الهدف من أقرب طريق ، وعلى الله قصد السبيل .

وصل اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار وسلم تسليما كثيراً

الباحث

سعيد أحمد غراب

الفصل الأول
المنطلقات الفكرية والعقدية
للأحزاب السياسية فى العصر الأموي

تمهيد :

عرف العرب التوحد والتجمع تحت راية الإسلام ،كما عرفوا مكانة الاتحاد والانصياع لقيادة حكيمة رشيدة ، تمثلت فى الرسول (ﷺ)، فكان عليه الصلاة والسلام رأس الدولة ، يتلقى الوحى من ربه ، ويبلغ رسالته للناس ، ويقود الجيوش ويعقد المعاهدات ، كما أنه (ﷺ) كان القاضى بين الناس بما أمره الله، وراعى الحقوق بالعدل والقسطاس المبين .

وقد كان ذلك كله فى شكل حكومة دينية ، تقوم على أساس دينى قويم ، ومن ثم تمثلت قوتها فى سلامتها من الأهواء والأطماع ، وطاعة أفرادها جميعاً لله ورسوله .

وبعد وفـــاة النبى (ﷺ)أصبح الأمر إلى أبى بكر الصديق ([1]) باختيار المسلمين له فى سقيفة بنى ساعدة ، وواجه خليفة رسول الله(ﷺ) مخاطر جمة ، لكنها لم تثنه عن عزيمته فى توحيد أركان الدولة ، وتثبيت دعائم الوحدة الإسلامية .

وقد رشح أبو بكر عند وفاته عمر بن الخطاب([2]) للقيام بأعباء هذا المنصب الخطير ، فسار على نهج سلفه ، ولم ينازعه منازع ، وازدادت الدولة

---

[1] – هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التميمى القرشـــى ، ولـــد عـــام ١٥ق.هـــ ، وتوفى عام ١٣هـــ، وهو أول الخلفـــاء الراشـــدين (الأعـــلام ، الزركلـــى ، ج١٠٢/٤) .

[2] – عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، ثانى الخلفاء الراشدين ، ولـــد عـــام٤٠ ق.هـــ ، وتوفى عام ٢٣هـــــ(الأعلام ج٤٥/٥) .

فى عهده قوة وهيمنة ، كما اتسعت رقعتها لاسيما بعد القضاء على الدولتين المتاخمتين : الفرس والروم .

وفى زمنه (رضي الله عنه) أقيمت مدينتا البصرة ، والكوفة بأرض العراق ، وكان لهما شأن فى تاريخ العرب السياسى والاجتماعى والثقافى([1]) .

وعند وفاة عمر رشح للخلافة من بعده ستة من الصحابة ، وقد سُمّوا بأهل الشورى ، على أن يختار من بينهم واحد للنهوض بأعباء الخلافة ، وشئون الدولة ([2]) .

وبعد جدل ، وقع الاختيار على سيدنا عثمان بن عفان ، وما كادت الأمور تنتقل إليه ، حتى بدت فى الأفق فتنة عارمة تكشر عن أنيابها ، وعلى أثرها انقسم المسلمون إلى أمويين و هاشميين، وكان أنصار (عليّ) يرونه الأحق بالخلافة من غيره بالسبقة إلى الإسلام ، وتضحيته فى سبيل الله ، ولمكانته من رسول الله ﴿ﷺ﴾، وهو زوج ابنته فاطمة (رضى الله عنها) وكان فى عثمان بن عفان([3]) ما يغرى ويشجع على اشتعال نيران الفتنة ؛ وذلك بلينه ، وتساهله ، وسياسته التى سلكها تجاه الولاة الذين ولاهم عمر من قبله ، إذ قام بعزلهم ، وتولية أقاربه مكانهم ،وقد ساعدهم (عثمان) بذلك على الانغماس فى اللهو والترف ، وامتلاك الدور والضياع ، كما أنه اتخذ(مروان بن الحكم) وزيراً له، وهو ابن عم الحكم بن أبى العاص ، الذى أخرجه الرسول ﴿ﷺ﴾

---

[1]- راجع :دراسات أدبية فى عصربنى أمية ، د/صلاح عبد التواب وآخرين /١٠٢،ط٢،مطبعة الحرمين ، طنطا٢٠٠٥م.

[2] - تاريخ الطبرى ، ج٥/ ٣٤،ط ١، مطبعة الحسينية المصرية .

[3] - عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ، ثالث الخلفاء الراشدين ، ولد بمكة عام ٤٧ ق. هـ ، وتوفى عام ٣٥هـ (الأعلام ، ج٤ / ٢١٠) .

٦- يراجع في ذلك سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان شخصيته وعصره ، د/علي محمد الصلابي /٣٥١وما بعدها ، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع ، شبرالخيمة ٢٠٠٧م

من المدينة حين آذاه ، ولم يتمكن من العودة إليها إلا فى خلافة عثمان بن عفان .

وازدادت الأمور سوءاً بمقتل عثمان إذ كان ذلك نذير شؤم ، ومطلع فتنة كبرى ، ومثار حروب وإحن عصفت بالأمة الإسلامية ووحدتها عصفاً شنيعا لم يسبق له مثيل (٦) .

وفى خضم هذه ألأحداث بايع المسلمون (علياً) بالخلافة ، وقد اجتهد أن يرأب الصدع ويلم شمل المسلمين ، ويعيد الأمور إلى نصابها التى كانت عليها قبل خلافة عثمان ، لكن دون ذلك خرط القتاد، فقد اتسع الخرق على الراقع ، وباتت الأمور معقدة ، والفتنة قد استشرت وعظم لهيبها ، ووقع صدام بغيض بين الصحابة ، وطالب بعضهم- وعلى رأسهم معاوية بن أبى سفيان - بالثأر لمقتل عثمان ، واتهم (عليا) بالتهاون فى الدفاع عنه ، وأنه آوى قتلته ، وتتسرب نوازع الخير من قلوب الأسرتين لتتأصل مكانها عناصر الشحناء والكراهية ، وتقوم الحرب بين جند على بن أبى طالب ، وبين بنى أمية فى موقعة الجمل ([1]) ، تلك التى ساند الأمويين فيها كل من :عائشة أم المؤمنين ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وفيها تعلو كفة على بن أبى طالب والكوفة .

وما تكاد تخمد نيرانها ، حتى تضطرم جذوة نيران أخرى بينهما فى موقعة "صفين " ([2]) التى أدت فى النهاية إلى انقسام جند على بن أبى طالب من حوله ، وظهور جماعات الخوارج ، الذين رفضوا الرجوع معه إلى الكوفة،

---

[1] - كانت بين جيش الإمام على ، ومعاوية ، وذلك سنة ٣٦هـ ، وسميت بذلك ؛ لاشتراك السيدة عائشة فى احداثها ، وقد ركبت جملاً لها يسمى عسكر .

[2] - صفين : موضع قريب من الرقة ، وفيها وقعت هذه المعركة بين الإمام على ومعاوية ، وذلك سنة ٣٧هـ .

ونزلوا قرية "حروراء" فسموا بالحرورية ، كما تم لمعاوية الاستيلاء على مصر ، واتخاذها مقراً لدعوته بالخلافة إلى نفسه .

ويدرك على بن أبى طالب خطر هذا الأمر ، فيعد جيشاً كبيراً لقتال معاوية ، والقضاء عليه ، ولكنه لا يتمكن من ذلك ؛ حيث تسبق إلى قلبه طعنة الخارجى : عبد الرحمن بن ملجم بسيفه المسموم ، فيلحق بربه ، وتنكس بذلك آخر راية للخلفاء الراشدين ، فى السابع عشر من رمضان عام أربعين من الهجرة .

وبعد مقتل "على " استخلف المسلمون ابنه " الحسن " لكنه آثر التنازل عنها ؛ حقنا لدماء المسلمين ، فأرسل إلى معاوية يطلب التصالح معه ، والتنازل عن الخلافة على أن يكون الأمر شورى بينهم بعد معاوية بن أبى سفيان .

ويذكر الطبري : أن الحسن حين أراد التنازل عن الخلافة ، قام فى أهل العراق خطيباً فــقال : " يا أهل العراق " إنه سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى ، وطعنكم إياى ، وانتهابكم متاعى ([1]) .

فلما بايع"الحسن " معاوية " بالخلافة ، بايعه الناس ، فخلص له الأمر حينئذ واتفق الجميع على ذلك، ويسمى ذلك العام (٤١ه) عام الجماعة ؛ لاجتماع المسلمين فيه على إمام واحد ، هو معاوية بن أبى سفيان الذى بدأت به الدولة الأموية عصرها (٤١-١٣٢ه) الموافق (٦٦١-٧٤٩م) .

وهو عصر عربى الصبغة ، قام على القهر والدهاء ، والتفنن فى إيقاظ العصبيات التى نجح الإسلام فى وأدها ،كما كثر فيه الإغداق بالعطاء على الشعراء ، مما كان له عظيم الأثر فى قيام نهضة شعرية كبرى ، أسهمت فى التعبير عما دار فى هذا العصر من أحداث وقلاقل مختلفة .

---

[1] - تاريخ الطبرى، ج٢/٩٢.

وقد استطاع معاوية بدهائه ، وبذله ، واستعانته بدهاة الرجال- أمثال عمرو بن العاص- أن يوطد ملكه ، وأن يسكت حزب الشيعة الذى يناصر علياً ، وحزب الخوارج الذى يعادى الشيعة والأمويين معاً .

ولما مات يزيد بن معاوية ، نهض عبدالله بن الزبير بمكة يدعو لنفسه ، حتى بويع فعلا بالخلافة ، فظهر حزب رابع يؤيد آل الزبير ، وسمى الحزب الزبيرى .

وقد ظلت هذه الأحزاب تتقاتل بالسيوف وبالألسنة ، حتى استطاع عبد الملك بن مروان أن يقضى على الحزب الزبيرى ، بقتل مصعب بن الزبير فى العراق ، ثم قتل عبد الله بن الزبير فى مكة ، كما استطاع أن يخمد أنفاس الشيعة بالوعد والوعيد ، والبذل والتهديد ، وظل يحارب الخوارج، ولكن الحزب الشيعى لم يمت ، بل ظل ينتهز الفرص ، فكلما وجد فرصة ، ظهر وثار (١) .

وبهذا التمهيد ، ندرك التأثير البعيد المدى ، الذى أحدثته هذه الأحزاب السياسية ، وندرك قوة تأثيرها في الأدب العربى فقد كان لكل حزب شعراؤه الذين يدافعون عنه ، ويهاجمون خصومه ، ويحمسون رجاله لخوض المعارك ، ويرغبون فى الاستشهاد ؛ حفاظاً على العقيدة ، ونصرة للحق .

وسوف نتعرف فى الصفحات القادمة -إن شاء الله - على هذه الأحزاب ، وعلى المنطلقات الفكرية والعقدية التى انطلق منها كل حزب ،وعلى ظروف نشأته ، وملامح تكوينه ، والملابسات التى تحكم حركة أصحابها ، وتحدد اتجاهاتهم وما سوى ذلك مما كان الشعر صدى له ، وتعبيراً عنه ، وإليك البيان والتفصيل .

---

١ - يراجع : الأدب وتاريخه فى العصرين الأموى والعباسى ، د على محمد حسن العمارى /١١، ١٢ ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٩٨١م.

أولاً : الحزب الأمويّ الحاكم :

ينتهى نسب الهاشميين والأمويين إلى جد واحد ، وهو عبد مناف بن قصى بن كلاب،ولقد اجتمع فى هاتين الأسرتين شرف قريش فى الجاهلية ، حتى جاء الإسلام وأمرُ السقاية موكول إلى بنى هاشم، واللواء فى أيدى بنى أمية ولم تخل حياة الأسرتين –شأن الأسر والقبائل العربية جميعاً– من رغبة فى السبق ، وتحقيق علو المنزلة ، وحيازة أسباب المجد والشرف .

وقــد ظل الحال هكذا ، حتى جاء الرسول (ﷺ) مبعوثاً للناس كافة ، رافعاً راية الإسلام طالباً إجابة الناس أجمعين ولما كان الرسول (ﷺ) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .....فإن الأمويين أحسوا موجدة من أن ينال هذا الشرف بنو هاشم ، فتظل بيدهم أسباب المجد والسيادة إلى آخر المدى ....ومن هنا ، كان صمودهم فى مواجهة الدعوة الجديدة ، حتى خضعوا لها –طوعا أو كرها– يوم فتح مكة ([1]).

وربما جاء دخولهم تحت راية الإسلام –بقيادة أبى سفيان بن حرب يومئذ– محاولة أخيرة لإدراك شىء من السيادة والشرف، لا سيما بعد أن ظهر أمر الدين ، وعلت رايته ، ومنذ تلك اللحظة ، وبنو أمية يحرصون – عن طريق هذا الدين – على نيل ما فقدوا من السيادة بسببه.

وباستخلاف أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ،يخرج الأمر من أيدى الهاشميين والأمويين معاً، ولكن ما إن يتولى الخلافة عثمان بن عفان – وهو أموى – حتى يتنفس الأمويون الصعداء ، ويشعروا أن باب السيادة على العرب جميعاً – وليس على قريش أو مكة وحدها – قد فتح على مصراعيه أمامهم.

---

[1] – يراجع : الطبرى ، ج٢ /٢٤٣.

وقد جاء فى مروج الذهب ومعادن الجوهر: أن أبا سفيان بن حرب ، دخل على بعض الأمويين ، وقد اجتمعوا فى دار عثمان بن عفان ، بعد إعلان البيعة له بالخلافة ، وسألهم – وكان بصره قد كُفَّ آنذاك – "أفيكم أحد من غيركم ؟ قالوا :لا قال : يا بنى أمية ، تلقفوها تلقف الكرة ، فو الذى يحلف به أبو سفيان ، مازلت أرجوها لكم ، ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثة "([1]).

وتذكر الرواية التى معنا ؛ أن سيدنا عثمان غضب من هذه اللهجة ، وانتهر أبا سفيان بن حرب .

ولكن إن كان هذا الأمر لم يعجب عثمان ، وهو من ذوى السبق فى الإسلام ، وليس من طلقاء يوم الفتح ، فلقد حفظ معاوية الدرس من أبيه ، ووعى النصح عن أستاذه الأول ، ونذر معاوية نفسه –منذ تلك اللحظة – لتحقيق هذا الحلم حين تواتيه الفرصة ..... بل عليه أن يسعى لتهيئة تلك الفرصة ، وهو فى سعيه يحالف كل أحد ، ويدفع كل غالٍ وثمين .

ومن العجب : أن معاوية قد تولى إمارة دمشق فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أخوه يزيد متولياً إمارة الأردن لأيام عمر كذلك، فلما مات يزيد ، ضم عمر الأردن إلى معاوية ، فظل والياً عليهما حتى مقتل عمر واستخلاف عثمان ، فأقره عثمان عليهما وأضاف إليه فلسطين ، وحمص ، بعد أن مات والى الأولى ، واستعفى والى الثانية .

ومنذ ذلك الحين ، دانت الشام كلها لمعاوية ، ومنحه طول مكوثه بها : معرفة بقبائلها ، وقد استطاع أن يتودد إليهم ، ويوثق رباطه بهم حين تزوج منهم ، حيث تزوج "ميسون بنت بحدل الكلبية " ، فأصبحوا ناصريه ومحبيه ، ولا يعرفون من أمر الخلافة والخليفة شيئاً سوى معاوية .

---

[1] – المسعودى ،ج٢/٢٥١،٢٥٢ ،مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٨م .

كان هذا حال معاوية فى الشام حين بلغه مقتل عثمان ، مصحوباً باتهام الهاشميين ، وتحريض معاوية على الثأر من قتلته ، وإغرائه بمحاولة الإمساك بالخلافة فى بنى أمية ، "وبينما معاوية ذات يوم جالس ، إذ دخل عليه رجل ، فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية ، وعليك ، من أنت لله أبوك ....فقد روعتنى بتسليمك علىّ بالخلافة قبل أن أنالها ؟ فقال : أنا الحجاج بن خزيمة بن الصمة ، قال : ففيم قدمت ؟قال : قدمت قاصداً إليك بنعى عثمان ، ثم أنشأ يقول :

إن بنى عمـــك عـبـدالمطلب هم قتلوا شيخكم غير الكذب
وأنت أولى الناس بالوثب فثب وسر مسير المحزئل المتلئب (١)

ثم قال :إنك تقوى بدون مايقوى به على ؛ لأن معك قوماً لايقولون إذا سكتَّ ، ويسكتون إذانطقتَّ، ولا يسألون إذا أمرتَّ ، ومع على قوم يقولون إذا قال ، ويسألون إذا سكتَ ، فقليلك خير من كثيره ، وعلى لا يرضيه إلا سخطك ، ولا يرضى بالعراق دون الشام ، وأنت ترضى بالشام دون العراق ، فضاق معاوية بما أتاه به الحجاج بن خزيمة ذرعاً فقال :

أتـانى أمر فيه للناس غمة وفيه بكـاء للعيون طـويل
مصاب أمير المؤمنين وهـذه تكـادلهـا صم الجـبال تـزول
تداعت عليه بالمدينة عصبة فريقان : منهم قاتل ، وخذول
سألحقها حربا عواناً ملحة وإنى بهـا من عـامنا لكفيل (٢)

---

١ – احزأل البعير فى سيره احزئلالاً ، أى : ارتفع ، واحتزل : احتـزم بـالثوب (اللـسان جـ١١/ ١٥٠، مادة: حزل) واتلأب الأمر اتلئباباً ، أى : استقام وانتصب (لسان العـرب جـ١/ ٢٣٢، مادة : تلب) .

٢ – الأخبار الطوال، الدينورى /١٥٦، طبعة لندن ١٩١٢م ، والأبيات من الطويل .

ولا يجد الوليد بن عقبة – أخو عثمان بن عفان لأمه – حرجاً من اتهامه علياً وبنى هاشم بقتل عثمان صراحة ، وإنذارهم بحرب شديدة ، إذ بلغه أن "عليا" أخذ إبل الصدقة من دار عثمان ، وماكان يوجـــد بها من سلاح ، يقول فى ذلك ([1])

بنى هاشم ، ردوا سلاح ابن اختكم ولاتنهبوه، لا تحل مناهُبه
بنى هاشم ، لا تعجلوا بإقادة سواء عليـنا قاتلوه وسالبه (٢)
وإنا وإياكم وماكان منكم كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعب بنى
هاشم، كيف التعاقد بيننا وعند على سيفه ونجائبه ؟(٣)
لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله وهل ينسين الماءَ ماعاش شاربهُ (٤ هم
قتلوه ؛ كى يكونوا مكانهُ كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
وإنى لمجتاب إليكم بجحفلٍ يُصمُ السميعَ جرسُه وجلائبه (٥)

وتظل هذه الفكرة – فكرة أن علياً وبنى هاشم وراء مقتل عثمان – تملأ أذهان الأمويين ، وتوجه مشاعرهم وانفعالاتهم ، وتقف خلف مواقفهم فى كل الأحداث التالية .

فالوليد بن عقبة حين يعلم بتخوف معاوية من لقاء "على" فى صفين وتردده ،يلومه ويستثير حماسته، حين يقول له ([6]) :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فإنك من أخى ثقة مليم

---

[1] – يراجع الخبر فى : الأغانى ،لأبى فرج الأصفهانى ، ح١٢٢/٥، طبعة دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩م.

[2] – الإقادة : القصاص والانتقام .

[3] – النجائب : الإبل العربية الأصيلة.

[4] – أروى :اسم أم سيدنا عثمان بن عفان .

[5] – الجحفل : الجيش العظيم .

[6] – تاريخ الطبرى ، جـ٢٥٨/٢.

قطعت الدهر كالسَّدِم المعنى تهذَّرُ فى دمشق فما تريمُ[1]

وليس أخو الترات بمن توانى ولكن طالب الترة الغشوم

ولو كنت القتيل وكان حياً لحرَّد ، لا ألفُّ ، ولا سئومُ[2]

ولا نكل عن الأوتار حتى يبئ بها ، ولابرم جثوم

وقومك بالمدينة ، قد أبيروا فهم صرعى كأنهم الهشيم

ويجد معاوية بن سفيان فى مقتل عثمان الفرصة التى طالما انتظرها سانحة، فلا يتوانى فى الإمساك بها، فيجمع من حوله قبائل الشام التى ظل يغدق عليهم المال ، ويتألفهم طيلة مدة ولا يته لعهد عمر وعثمان ، بل إنه يشترى مساندة "عمرو بن العاص "([3]) بأن تكون مصر خالصة له إذا ما انتهى الأمر إليه.

ومن هذا المنطلق ، يرفض معاوية بيعة على، ويعلن المطالبة بدم عثمان ، ويكتب إلى على قائلاً : "أمابعد ؛ فإنى إنما أقاتلك على دم عثمان ، ولم أر المداهنة فى أمره ، وإسلام حقه ، فإن أدرك بثأرى فيه فذاك ...وإلا فالموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم ، وإنما مثلى و مثل عثمان كما قال المخارقى ([4]) :

فمهما تسل عن نصرتى السِّيدَ ، لاتجد لدى الحرب بيت السِّيدِ عندى مذمما

فكتب إليه على : أمـــا بعد ، فإنى عارض عليك ماعرض مخارق على بنى فالج ، حيث قال :

---

[1] –السدم : المشغول بالأمر المهتم به.

[2] – الحرد: القصد فى غير ترددٍ.

[3] – هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، فاتح مصر ، ولد عام ٥٠ ق . هـ ، وتوفى عام ٤٣هـــ (الأعلام ، جـ٥/٧٩) .

[4] – مخارق أبو المهنأ بن يحيى الجزار ، عاش فى العصر الأموى ، وتوفى عام ٢٣١هـ (الأعلام جـ٧/ ١٩١)

أيا راكباً إما عـرضت فبلغا بنى فالج حيث استقر قرارها

هلموا إلينا لا تكونوا كـأنكم بلاقع أرض طارعنها غبـارهـا

سليم بن منصور أناس أعزة وأرضهم أرض كثـير وبـارهـا

فكتب إليه معاوية "إنا لم نزل للحرب قاد ة " وإنما مثلى ومثلك كما قال أوس بن حجر :

إذا الحرب حلت ساحة الحى أظهرت عيوب رجال يـعـجبونك فى الأمـن

للحرب أقـوام يحـــامـون دونهـا وكـم قد ترى من ذى رواء ولا يغنى (١)

وكان هذا إعلاناً للحرب من جانب معاوية على "علىّ " وشيعته ، وإحباطاً لجهود على مـــن أجل إقناع معاوية بالانضواء تحت راية الخلافة ، وعدم إرواء الفتنة ، وبذر الشقاق بين جماعة المسلمين

أما (عليّ) ، فبعد أن فرغ من القضاء على أطماع المخالفين والمنازعين فى البصرة بقيادة طلحة ، والزبير ، وأشياعهما فى موقعة الجمل – تلك الموقعة التى اشتركت فيها السيدة عائشة ، وقتل فيها طلحة ثم لحق به الزبير – وجد أن عليه مواجهة معاوية ، وإخضاع الشام ، وكانت وقعة " صفين " التى اشتد القتال فيها بين جيوش على وجيوش معاوية ، وكاد النصر يتم لعليّ ومن حوله ، وحينما أدرك معاوية وحليفه عمرو بن العاص ذلك ، أمرَ عمرو : من كان معه مصحف فليرفعه ، فارتفعت المصاحف فوق أسنة الرماح ، وتنادوا : أن كتاب الله بيننا وبينكم فخدع أهل العراق (أصحاب على بذلك ، وكفوا عن القتال ،على الرغم من أن عليا حذرهم من ذلك .

وهنا ، تأتى مسألة التحكيم المشهورة فى كتب التاريخ ، والتى تقضى بأن يرجع المتحاربون إلى ديارهم، ويتخير كل فريق رجلاً يرضونه ، ويؤخذ

---

١ – يراجع هذه المناظرة فى : الأخبار الطوال ، الدينوري /١٧٨.

عليهما العهد بأن يكون كتاب الله هو الفيصل فى إنهاء الخلاف بين على معاوية ، ويكون ماانتهيا إليه من حكم الله ملزماً للطرفين .

ولما عرض الأمر ، سارع أهل الشام (أصحاب معاوية) بالموافقة عليه ، دون أن ينتظروا إعلان على لرأيه فيه ، فاضطر علي إلى الخضوع والنزول إلى ما أرادوا ، واختار أهل الشام : عمرو بن العاص ممثلاً لهم فى هذه الحكومة ، أما أهل العراق (أصحاب علىّ) فاختاروا أبا موسى الأشعرى (١) .

ومنذ ذلك اليـــوم ، أدرك علىّ أنه غير مسموع الكلمة بين رجاله ، كما أدرك أن رجاله ليسوا على قلب رجل واحد ، كما يراد لأمثالهم فى مثل هذا الموقف .

وتنتهى تلك الحكومة بخُدعةٍ مبيتة ، حين يتفق الطرفان على إيقاف الحرب بين المسلمين ، وخلع الرجلين : علىّ ومعاوية وترك الأمور شورى للمسلمين من جديد.

ويقدم عمر بن العاص أبا موسى الأشعرى ، مظهراً له الإجلال والإكبار ، فيعلن أبو موسى ، بطوية حسنة خلع علىّ ، وإذا بعمرو يتقدم بدهائه فيعلن خلع علىّ ، و تثبيت معاوية (٢) .

---

١ – يراجع فـــى ذلك : واقعة صفين ، نصر بن مزاحم ، تحقيق : عبد الـــسلام هـــارون ، ج١/٣٧ وما بعدها ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٨٢هـــ.

٢ – يرى بعض المؤرخين : أن قصة التحكيم المشهورة باطلة ، ولا أصل لها ، وأن مـــا حدث من خلاف بين علىّ ومعاوية ، كان بسبب مطالبة معاوية علياً بدم عثمان، حيـــث إنه ابن عمه ، وولى دمه ، وحين رفض علىّ كان هذا النزاع ، فالتحكيم كان من أجـــل حل هذه القضية المتنازع عليها ، لا من أجل اختيار خليفة أو عزله .
يراجع ذلك فى : الدولة الأموية ، د. علىّ محـــمد الصّلابى ، جـــــ١/١٣٨-١٤٢، ط١ ، مؤسسة أقراء للنشر والتوزيع والترجمة ٢٠٠٥م .

ولقد كان من نتائج هذا التحكيم : أن انقسم أصحاب عليّ ، فمنهم من بقى إلى جانبه فى كل موقف ، ينتظر رأيه وأمره ، وهؤلاء هم أصول الشيعة ، ومنهم من طلب من علىّ نقض المعاهدة ، واستئناف الحرب مـــع معاوية ، والرجوع عن الخطوة التى أصروا هم على قبولها من قبل ، ولـــم يكن ممكناً أن ينقض علىّ أمراً قبله ، فرفض إجابتهم إلى ذلك ، وعندئذ خرجوا عليه ([1])، وأعملوا سيوفهم فى كل من يلقاهم ، وظلوا شوكة فى جنب علىّ ، مما اضطره إلى أن يحاربهم فى النهروان ([2])، وينتصر عليهم دون أن يتمكن من القضاء عليهم ([3]) .

وهكذا تسفر حـــرب صفّين عن أحزاب ثلاثة : الأمويين ، والشيعة ، والخوارج ، ويسفر التحكيم عن الارتفاع بمعاوية إلى مرتبة النظير الرسمى لعلى بن أبى طالب .

ومـــنذ ذلك التاريخ ، ومعاوية يصطنع سبيلاً لا يقوى عليه علىّ ، فعلىّ ضنينٌ بمال المسلمين أن ينفق فى غير وجوهه ، ويريد أن يسوس الناس سياسة عمر وأبى بكر ، ويعلو بالخُلُق والدين فوق كل غاية. .... أما معاوية ؟، فيشترى بالمال خُلُقَ الناس ، وضمائرهم ، ودينهم ؛ كى يكتسب عوناً ، وتعضيداً يقترب به، ولو قيد أنملة ، من غايته التى يستعيد بها مجد بنى أمية

وتكون النتيجة : أن يعتاد الناس على الترف والسعة التى يُغريهم بها معاوية ، وينفروا من الخشونة المعيشية التى يميل بهم علىّ إليها ، ويترتب على ذلك :أن يقلَ أنصارُ عليّ ، ويكثر أنصار معاوية المستفيدون من سياسته

---

[1] – وقد سمى هؤلاء بالخوارج ؛ لخروجهم على الإمام علىّ .

[2] – كانت بين علىّ والخوارج الذين انشقوا عليه بعد قضية التحكيم ، وكان ذلك عـــام ٤٣هـــ .

[3] – يراجع : الأخبا ر الطوال ، ٢٠٦-٢١٠.

ومسلكه ، وفضلاً على ذلك ، فإن شيعة علىّ أخذوا يشغلون أنفسهم بالحروب الكلامية ، والجـــدل الطويل ، والمنازعات الداخلية ، واستثارة العصبيات القبلية ، ويضاف إلى ذلك كله : محاولات معاوية وبعض خلصائه : إثارة القلاقل والفتن بين شيعة علىّ ، فأصاب هذا كله علياً باليأس والحزن ، وجعله يقبل مهادنة معاوية سنة ٤٠ه ، بإغماد السيف ، وتوقف النزاع ، على أن يكون لكل منهما ما تحت يده .

وبعد إقرارِ المهادنة بينهما ، وأخذَ معاويةُ يلقب نفسه بالخلافة فى بيت المقدس ، وبايعه أهل الشام بذلك، وما هى إلا شهور قليلة حتى اغتيل علىّ أواخر عام ٤٠ه، عندها ازداد معاوية جرأةً ، وأحس أنْ لا منافس له فى الخلافة ، فلما بُويع الحسن بن على فى الكوفة ، رأى نجمَ معاوية صاعداً ، ورأى معسكره يضطرب بالفرق والجماعات المتناحرة ، فتنازل لمعاوية –كما سبق أن أشرتُ – شريطة أن يعود الأمر من بعده شورى للمسلمين ، كى يختاروا من يرضونه ، فقبل معاوية ، وأعلن نفسه خليفة للمسلمين عامة ، ودخل عاملُه الكوفةَ فى ربيع الآخر سنة ٤١ه، واجتمع الناس عليه .

ومن الغريب والعجيب : أن معاوية لم يعد – بعد هذا اليوم – يذكر دم عثمان ، ولا يتوعد من اشترك فى قتله ، فلقد استنفد عطاء تلك الورقة على الوجه الذى أراده .

وبعد أن استقرت الأمور لمعاوية ، واعتلى عرش الخلافة ، نراه يخطب فى أهـــل المدينة المنورة،مكاشفاً ومصارحاً، بأنه يعلم موقفهم منه ، ويدرك أنهم كارهون لـــــه ، ولولايته ، وفى هذا مافيه من التهديد يقول فى خطبته لهم ([1]) :

---

[1] – العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسى ج٤/٨١،٨٢،لجنة التأليف والترجمة والنـــشر ١٩٧٣م.

" أما بعد ، فإنى والله مـــا وُلِّيتها بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتى ، ولكنْ جالدتُكم بسيفى هذا مجالدةً ، ولقد رضت لكم نفسى على عمل ابن أبى قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سنيات عثمان فأبت علىّ ، فسلكت بها طريقاً لى ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ، فإن لم تجدونى خيركم ، فإنى خير لكم ولايـــة ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يشتفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذنى، وتحت قدمى ، وإن لم تجدونى أقومُ بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه ، فإن أتاكم من خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا جاد أثرى ، وإن قلَّ أغنى ، وإياكم والفتنةَ ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة " .

بهذه الكلمات ، يبدو معاوية وكأنه يقول فى داخله بصوت تسمعه الدنيا كلها : هأنذا أحفظ الدرس يا أباسفيان ، وألتزم الوصية الغالية ([1]) ، وكأنه لم يعد يتحرج من أن يقول :

إنى مابذلت من الجهد مابذلت ، وما صبرت على ذلك العناء الشاق هذه السنوات الطويلة ، إلا لكى أبلغ غايتى ، وأصل إلى هدفى ، وهأنذا اليوم أبدأ عصراً ، هو عصر بنى أمية ، الذى سوف ينسى المسلمون فيه عهد أبى بكر ، وعمر ، وعثمان .

إن معاوية يعلم أن أهل المدينة – مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وموطن الصحابة والتابعين الكرام – كارهون لإمارته ، ويعلن أنه سوف يحمل السيف لمن يفكر فى حمل السيف ، أو يحاول استثارة الفتنة ، أما من يجمع غيظه فى كلمة ، أو يفجر كيده فى لعنة ، فسوف يمتن عليه معاوية فلا يعاقبه على ذلك ، وإنما يبتسم فى سخرية .

---

[1] – تراجع : وصية أبى سفيان بن حرب لبنى أمية ص٩من هذا البحث .

وهكذا ، نرى أنه فى ضوء هذا الموقف الصريح ، الذى تحدده كلمات "معاوية " فى دقة ، كانت السياسة التى سلكها الأمويون طيلة خلافتهم ، وقد تبلورت فى عدة نقاط من أهمها :

١- أن الحزب الأموى ، هو الحزب الحاكم ، أُوتى أهله مقاليد الأمر على المسلمين من الله ؛ لأنهم أحق الناس بذلك، ولن يقوى أحد على أن ينازعهم ما أعطاهم الله إياه ، ولذلك فطاعتهم حق واجب على الجميع ، وهم لذلك يَذكرون بالفضل من يؤيد حقهم فى الحكم ، ويحتج لولايتهم ، ويضفى عليها ملامح الشرعية الدينية

٢- تعتمد سياستهم لرعيتهم على معرفتهم بنوعية تلك الرعية ، وميولها تجاه الأسرة الحاكمة، وهى المعرفة التى ذكرها معاوية فى كلماته السابقة ، ولذلك فهم يغضون الطرف عن من يعارضهم باللسان ، فى محاولة لامتصاص غضبه، واستقطابه إلى جانبهم، أما من يفكر فى الخروج عن طاعتهم، ويرفع راية العصيان فى وجوههم ، فليس له إلا السيف .

٣- يعرف الأمويون أن فى معارضيهم جبهات قوية لا يُستهان بها ، لذلك حرصـــوا على تكوين جبهات مؤيدة ، تُشكَّل من بعض الولاة ، والقواد الموثوق فى ولائهم ، بأن يطلقوا أيديهم فى ولاياتهم ، ويمنحوهم حق التصرف باسم الخلافة ؛ إمعاناً فى تخويف بيئات المعارضة البعيدة ، وإظهاراً لإحكام قبضة الخلافة عليهم ، وهذا ماكان من أمر زياد بن

أبيه ([1]) ، والحجاج بن يوسف (٢) ، وبشر بن مروان ، وآل المهلَّب ، وغيرهم (٣) .

٤- استنّ معاوية بن أبى سفيان فكرة ولاية العهد ، حين أخذ البيعة – رضا وغصباً – لابنه يزيد من بعده ،متناسياً العهد الذى قطعه مع الحسين بن على ، بترك أمر الخلافة من بعده شورى للمسلمين ، وقد وقع ذلك من الأمويين ؛ إيماناً منهم بأنه ليس هناك من يصلح لتولى أمرالمسلمين سواهم ، وتقديراً منهم للجهد الذى بذلوه حتى تم لهم وضع الأمر فى نصابه ، وتطبيقاً لما أعلنه أول حكامهم من أن سياسة الأمويين تختلف عن سياسة سابقيهم ، وقد غطوا ذلك كله بغطاء دينى ، وهو تجنب المسلمين الشقاق والخلاف والفتن !!

٥- حرص الأمويون على التذويب البطئ لأحزاب المعارضة ، عن طريق بذر الشقاق بينهم ، وإغراء بعضهم ببعض وصرف الناس عنهم بضروب المغريات الدنيوية ،وعلى رأسها المال والجاه.

٦- حرص الأمويون على استغلال العصبيات القبلية المتأصلة فى نفس العربى ؛ من أجل تحقيق مآربهم ، وأغراضهم المختلفة.

---

[1] – هو زياد ابن أبيه ، ولد عام ١هـ ، وهو من الدهاة والقادة الفاتحين والولاة ، ألحقه معاوية بنسبه عام ٤٤هـ ووالاه البصرة والكوفة وسائر العراق (العقد الفريد ، لا بن عبد ربه ، جـ١/٣١ ، ط١ دار الإمام علىّ للطباعة والنشر، القاهرة ٩٢م).

[2] – هوالحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى ، قائد داهية سفاك ، ولد فى الطائف عام ٤٠هـ ، ولاه عبد الملك أمر عسكره، ورفع شأنه ، حتى توفى عام ٩٥هـ (الأعلام ، جـ٢/ ١٦٨) .

[3] – يراجع: الدراسات الأدبية ، د. عبد العزيز نبوى وآخرين /٩، الهلال للطباعة والتجارة –القاهرة ١٩٨٥م.

٧-لم يتحرج الأمويون من الفخر والاعتزاز بارستقراطيتهم الأموية القرشية ، وإظهار التعالى على العرب عامة ، والموالى خاصة ، مما أغضب الموالى عليهم ، وجعلهم يتحملون النصيب الأوفى فى تقويض ملكهم .

ولقد كان الشعر – الذى صاحب تكوين هذا الحزب ، وهو لم يزل بعد مجرد فكرة فى رأس معاوية عندما بلغه خبر مقتل عثمان، وحتى سقوط الخلافة الأموية على أيدى العباسيين وأنصارهم – سجلاً لهذه الملامح ، ولساناً لهذه الاتجاهات ، وشاهداً على تلك السياسة على نحو ما سنرى –إن شاء الله – بعد قليل.

ثانياً : حزب الشيعة :

حزب الشيعة ، أو الحزب العلوى هم الذين يرون أن بنى هاشم من نسل علىّ أحق الناس بالخلافة بطريق التسلسل الوراثى ، بحيث لا تخرج منهم إلا بوصية.

وفكرة استحقاق علىّ بالخلافة ، نبتت منذ فترة مبكرة ، حين رشح بعض الصحابة عليا لتولى شئون الدولـــة الإسلامية عقب موت الرسول (ﷺ) مباشرة ، مؤيدين وجهةَ نظرهم بـــأن أهل بيت الرسول(ﷺ) أحق الناس بخلافته ، وعلىٌ رفيقه منذ بدء الدعوة ، وصهره ، وأكثر الناس صحبة له ، وهو من هو علماً ، وفضلاً ، ودِيناً، وسبقاً فى الإسلام ، ونقاء من الوثنية الجاهلية .

وقد دفع أصحاب هذه الفكرة علياً إلى الخلافة منذ تلك اللحظة ، حتى ليروى أن عليا أحسَّ شيئاً من غمط الحق([1]) حين بويع بالخلافة ، وكان هذا سبباً فى تأخره زمناً فى تقديم البيعة لأبى بكر([1]) .

---

[1] – غَمَطَ الحق : رآه سفهاً وجهلاً (اللسان، جـ٧/٣٦٤، مادة : غمط).

وكون علىّ بن أبى طالب أولى بالخلافة ، لا تعنى أكثر من وجهة نظر اقتنع بها أصحابها ،وحاولوا إخراجها إلى حيز التنفيذ كلما سنحت فرصة لذلك .

ولكن الميلاد الحقيقى للشيعة : يرجع إلى ذلك الموقف الذى اختلفت فيه كلمة المسلمين من حول علىّ يوم التحكيم فى "صَفّين" إذ انقلب عليه بعض جنده ، وخرجوا عليه ، وأصبحوا أعداء له ولمعاوية معاً ، وبدأوه بالحرب ، وهؤلاء هم الخوارج، أما الجانب الأكبر من جنده، فقد ترك الأمر له، وأعلن الوقوف بجانبه فى كل حال ، انطلاقاً من الاقتناع بحكومته ، والرضا بإمامته ، وهؤلاء هم شيعة علىّ ، أى : أنصاره ومؤيدوه والمخلصون له، وقد شكل وجودهم حزباً رسمياً له نظرياته ، وآراؤه،وأفكاره بعد موت علىّ ، وقهر الأمويين لهم ، ثم ازداد ولاؤهم ، وإحساسهم بمسئوليتهم بعد موت الحسن ، واستشهاد الحسين ، فشكلوا بذلك أقوى أحزاب المعارضة فى مواجهة الأمويين ، والعباسيين من بعدهم.

وتمرالأيام تترى، وينضم إلى الشيعة بعض المتطرفين من جماعة اليمنى اليهودى : عبد الله بن سبأ، الذى أسلم فى خلافة عثمان ، ورأى فى الانضمام لهؤلاء فرصة لتحقيق بعض أغراضه المشبوهة ،والتى تهدف إلى الكيد الخفىّ للإسلام،فظهرت المغالات فى شعاراته هو وأصحابه ، كقوله: بالرجعة ، والحق الإلهى للخليفة ([2]) مما اضطر عليا إلى نفيه وقتل بعض أصحابه ، وحين قتل علىٌ ، رفض ابن سبأ الاعتراف بذلك ، وإنما زعم أنه

---

[1] – تاريخ الطبرى ، جـ٣/٢٠٢.

[2] – يراجع فى هذه المسالة : الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادى /٢٢٣،٢٢٤، دار الآفاق – بيروت ١٩٨٠م.

صعد إلى السماء ، كما صعد عيسى ، وأنه سينزل يوماً ؛ لمحاسبة أعدائه ، وإعادة العدل .

ومع كثرة الخلاف فى الرأى، والجدل العقيم ، تحولت الشيعة إلى عدة فرق ، تركزت فى العراق ([1]) وبعد دخول رجال معاوية الكوفة، أباح لهم سبَّ علىّ من فوق المنابر ، والدعاء لخلفاء بنى أمية، الأمر الذى أهاج الشيعة ، ودفعهم إلى التعبير عن ثورتهم بطرق شتى ، فقبض زياد بن أبيه على زعمائهم سنة ٥١ه ، وأرسلهم إلى دار الخلافة فى دمشق ، فقتلهم معاوية ، إلاّ من تبرأ أمامه من علىّ ، مما دفع إخوانهم إلى التخفى ، ومدارة القوم ، وبالتقية ،وحصْرِ التشيع فى المسائل النظرية دون الثورة على النظام الحاكم ([2]) .

وظلت الشيعة على هذا الحال ، حتى مات معاوية ، وتولى ابنه يزيد، وكثرت الأصوات المعارضة فى الحجاز والعراق ، فراسل الشيعةُ الحسينَ بن على ، الذى جاءهم ، فوجد جنود عبيد الله ابن زياد ([3]) عند كربلاء ([4])، فقتل بأيديهم ، وأُخذت رأسه إلى يزيد فى دمشق سنة ٦١ه.

---

[1] – من أبرز هذه الفرق : الكيسانية ، وولاؤهم لمحمد بن الحنفية ، والزيدية ، وولاؤهم لزيد بن على بن الحسين ، وهى أكثر اعتدالاً فى مبادئها من الكيسانية، فهم لا يقولون بالرجعة ، ولا ينتظرون مهدياً .

[2] – ينظر : الكامل ، ابن الأثير ، جـ٣/٤٧٢، دار صادر– بيروت ١٩٧٥م.

[3] – هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكرى ، فاتك من الشجعان، كان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وظل على ولائه للأمويين حتى مات سنة ٧٥هـ (العقد الفريد ، لا بن عبد ربه ، جـ٢/١٦٢).

[4] – مكان بأرض العراق قرب الطّف من ضواحى الكوفة ، وفيها قتل الحسين بن علىّ على أيدى الأمويين سنة ٦١هـ.

وفـــى سنة ٦٥ه أول ولاية عبد الملك بن مروان([1]) ، تحرك الشيعة بالكوفة ، واجتمعت كلمتهم على أنهم كانوا السبب فى مقتل شهداء كربلاء ، ولذلك عليهم أن يتوبوا من هذا الإثم ، ويطلبوا التكفير بالانتقام لهؤلاء الشهداء ، فسَمّوا أنفسهم بالتوّابين ، وجعلوا قيادتهم لسليمان بن صُرَد الخزاعى ، الذى قتل أمام جيش عبدالملك فى " عين الوردة " ([2]) وهزم التوابون وعادوا ساخطين إلى الكوفة ، وأخذت الشيعة تنتقل من سئ إلى أسوأ فى أفكارها ومبادئها ، حيث وُسموا بالمغالاة ، والخروج على روح الإسلام السمحة ، حتى زعم بعضهم أن "محمد بن الحنفية " ابن على بن أبى طالب من غير فاطمة الزهراء ، والذى جعلوا ولاءهم لـــه بعد الحسين – الذى مات ، ثم يرجع بعد موته كى يعيد العدل ، ويمحو الجور ، وأسماه أنصاره "المهدى المنتظر" بل ذهب بعضهم إلى أن هذا المهدى، معتزل فى جبل " رَضْوَى " ([3]) حتى يحين الوقت المحدد لعودته ، كل ذلك رغم موت الرجل أمام أعينهم ، ودفنهم إياه على مرأى من العامة والخاصة ([4]) .

وقـــد سجل شعراء هذه الفرقة كل ملامحهم فى شعر يتصف بصدق العاطفة ، وحرارة الانفعال كما سنرى بعد قليل إن شاء الله تعالى ...

---

[1] – هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، من أعاظم خلفاء بنـــى أميـــة ودهاتهم ، ولد عام ٢٦هـــ انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه ، وتوفى عام ٨٦ هـــ (الأعلام ، جـــ٤/١٦٥) .

[2] – مكان فى أرض الجزيرة – التى تقع بين العراق والشام – إلى الشمال الغربى مـــن صفين ، وفيه كانت هزيمة التوابين على إيدى الأمويين سنة ٦٥هـــ

[3] – هو جبل بالمدينة المنورة .

[4] – يراجع : الفرق بين الفرق / ١٦ ومابعدها

٩– قرية بظاهر الكوفة نزل فيها الخوارج الذين خالفوا عليا بن أبي طالب ، فنسبوا إليها .

١٠– سورة البقرة ، آية ٢٠٧.

ثالثا : حزب الخوارج :

تقدم القول : بأن أصحاب الإمام علىّ ، انقسموا عليه فى يوم "صفين " بسبب التحكيم ، وخرج عليه بعضهم ، ورفضوا دخول الكوفة معه ، أو الانضواء تحت لوائه ،بل اعتبروه عدواً مثله كمثل معاوية يجب قتالهما معاً ،وأقاموا فى قرية " حروراء "(٩)، وهم ينطلقون على أنفسهم " الشُّراة " أى: الذين باعوا أنفسهم ، وحياتهم لله ، ولنصرة دينه ، أخذاً من قوله – تعالى– " وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ " (١٠) . وبدأ الخوارج منذ هذه المقاطعة ، يستقلون بأنفسهم ، ويعملون على إثارة القلاقل والإفساد فى الأرض، والاعتداء على كل من لا ينتمى إليهم

ولعل الذى دفعهم إلى سلوك هذا المنهج : المبالغة فى الاعتقاد بأنهم وحدهم الأكفاء ، والجديرون بأوصاف المسلمين الحقة ولذا اندفعوا إلى محاربة كل من لا يرتضى مذهبهم ، وبخاصة الأمويون ؛ لاغتصابهم الخلافة ، وهى ليست من حقهم ([1]) .

وقد قدّم الإمام علىّ محاولات عديدة لاسترادادهم ، فأرسل ابن عباس لحوارهم ، ثم لقيهم هو ، وحاول إقناعهم ، ولكنهم أصروا على موقفهم ، وطلبوا مـــنه، إن كان يريد استعادتهم ،أن يقر بالكفر بكتاب الله ، ثم يتوب من ذلك ؛ لأنه حكّم الرجال فى كتاب الله ، وبالطبع رفض علىّ هذا ، وترك جدالهم ، ولكنهم اعتدوا على أصحابه قتلاً وتمزيقاً ، فلما أرســـل إليهم رسولاً ينصحهم بالكف عن الإفساد فى الأرض ، قتلوه ، فكان حتماً على الإمام على مواجهتهم ، فلقيهم فى " النهروان وبدد شمل جيشهم ، وقتل منهم عدداً عظيماً، وكان من أثر هذه الواقعة : اغتيال الإمام علىّ بيد أحدهم ([2]).

---

[1] – يراجع : معالم التاريخ الأدبى فى العصرين الأموى والعباسى الأول ، د/حلمى حسن أبو العز/٦٥، مكتب الكرنك بدمنهور ١٩٩٢م.

[2] – ينظر تفصيل هذا الأمر فى : تاريخ الطبرى ، جـــ٤ /٤٣ومابعدها.

وفى أول عهدمعاوية ، خرجت جماعتهم بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي ، وهزموا جيش الشام "أنصار معاوية " عند النخيلة (*) فاستعدى معاوية عليهم أهل الكوفة ، فهزموهم ، ثم تابع عمال الأمويين فى العراق التنكيل بهم ، حتى آخر أيام بنى أمية أيام مروان بن محمد ، على أنهم ظلوا يمثلون شوكة مقلقة للدولة الأموية .....تشغل خلفاءها ، وتنال من ا ستقرار ولا ياتها طيلة العصر الأموى .

وتكاد تكون حروبهم متواصلة فى عنف ، وبأس شديدين ضد الأمويين ، وإن لم يغفل عنهم الأمويون ، فقد كانوا لهم بالمرصاد ، يلاحقونهم فى كل مكان ، ويُطيحون بكل رأس تعلو أمام الأبصار من قادة جيوشهم ، وزعماء فرقهم "([1]) .

وقد تعددت فرق الخوارج ، وتوزع نشاطها فى أرجاء متبانية من الدولة آنذاك ، كالعراق ، وإيران ، واليمن، والبحرين، والحجاز، وغيرها من البلاد ، وكانوا يتوادون ويتراحمون فيما بينهم ؛ لشعورهم بأنهم أصحاب غاية ورسالة واحدة ، هى : تقوى الله ، ويشرعون جميعاً من أجلها سيوفهم .

وكانت أظهر فرقهم :الأزارقة ، وهم أتباع نافع بن الأزرق . والنجدات ، وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، والإباضية ، وهم أصحاب عبدالله بن إباض التميمى ، والصفرية ، وهم أصحاب زياد ابن الأصفر .

وكانت كل هذه الفرق تمثل حزباً واحداً فى أول الأمر، ثم اختلفت آراؤهم حول بعض الأمور ، التى نتجت عن : كثرة الجدل ، وطول الحوار ، فخرجت الفرق الثلاث الأخيرة عن الأولى ، فى محاولة الاعتدال، وعدم الأخذ بالشدة التى كانت سمة الأزارقة .

---

* قرية تقع قرب الكوفة على حدود الشام .

٣- معالم التاريخ الأدبى فى العصرين : الأموى والعباسى الأول /٦٥.

واتخذت فرقة الخوارج مظهرين أساسيين :

المظهر الديني :

اتضح الموقف الدينى للخوارج فى أمور عديدة ، وتبلور فى مظاهر بدت واضحة جلية عندهم ، من أهمها: إيمانهم بأن الدين ليس اعتقاداً فحسب ، وإنما لا بد أن يصاحب الاعتقاد عمل يبرهن على الإيمان ، فمن لا يصدق عمله اعتقاده ويقوم بواجبات الدين كاملة ، بحيث يأتمر بأمره ، وينتهى بنهيه، فهو كافر مستحق للقتال .

- وواجب المؤمن : رسالة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر بكل ماأوتى من قوة ، ولذلك فالجهاد وحرب الكفار أسمى ألوان القربى إلى الله ، وأفضل الطاعات .
- كذلك يؤمن الخوارج بأن مرتكب الكبيرة ، المجاهر بالمعصية كافر يجب قتاله .
- ويحرص الخوارج على إظهار التمسك بتعاليم القرآن ، كما يوحى بها ظاهر آياته ، والانصراف –بعد الجهاد– إلى ضروب الطاعات ، من : صيام ، وصلاة ، ودراسة القرآن الكريم ،والحديث .
- كما يحرصون على الزهد فى كل متاع الدنيا ،والميل إلى خشونة العيش ، يعينهم على ذلك : أن معظمهم عرب بدو ، انصرفوا عن الحضارة والترف ، أولم يعرفوها من قبل .

والخارجى – بصفة عامة – مخلص لما يعتقد ، لايقبل التنازل عنه ، ولا يرضى عنه بديلاً ، ويتعصب له تعصبا تاما فى مواجهة كل رأى آخر ، أو فكر مخالف ([1]) .

---

[1] – الأدب الأموى ملامح وأعلام ، د/ صلاح رزق /٥٠ ومـا بعـدها ، مكتبـة الآداب – القاهرة ١٩٩٥ م.

المظهر السياسى :

ربما كان الموقف السياسى عند الخوارج منطلقا من الموقف الدينى العام ، فالخوارج لم يتركوا الإمام على منذ أول الأمر إلا استجابة لموقف دينى يحتمه –من وجهة نظرهم – الالتزام بكتاب الله ، والموقف السياسى عندهم يتمثل فيما يأتى :

- أعلن الخوارج أن الخلافة ليست وقفاً على الإمام على وأبنائه ، كما يرى الشيعة ، وليست حقاً لبنى أمية ،كما يذهب إلى ذلك الأمويون وأنصارهم ، وليست وقفاً على قريش كما يرى الزبيريون ، وإنما هى حق لكل مسلم عربى حر ، إذا كان قادراً على قيادة المسلمين، صالحاً لأن يكون القدوة الحسنة لهم جميعاً .

ولما كثر الموالى بين صفوف الخوارج ، تخلوا عن شرط الحرية والعروبة ، وجعلوا الخلافة حقاً لكل مسلم كفء للنهوض بأعبائها ، لا فرق فى ذلك بين حر وعبد ، عربى وغير عربى .

ولقد كانت هذه المساواة ، سبيل إغراء لكثير من الموالى ، بإخلاص الجهد ، والولاء فى صفوف الخوارج ، كذلك كانت سبيلاً لا متصاص كثير من العصبيات القبليه المتوارثه بين العربى .

- يتم اختيار الخليفة بالانتخاب الحر من بين ذوى الصلاحية لها .
- من حق الجماعة التى اختارت الخليفة عزله ، أو الخروج عليه ، إذا ما رأت سبباً لذلك ، أو اقتضاه صالح المسلمين ، فإذا لم يستجب لذلك ، جاز قتله .

وانطلاقا من هذا ، لاتصح بيعة معاوية مطلقاً ، ولاعلىّ بعد قبوله التحكيم ، ولا عثمان إلا فى السنوات الأولى .

أما بيعة أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، فهى البيعة الصحيحة من وجهة نظر الخوارج واعتماداً على الموقف الدينى والسياسى معاً ، راح الخوارج يحكمون بالكفر على كل من ليس بخارجى، ومما يروى أنهم كانوا أرفق بالكفار الذين لايؤمنون بالدين ، وبأهل الكتاب من المسلمين المخالفين لهم فى الولاء والرأى .

وأبرز ماكان يميزهم : تلقائية الاستجابة لما يفرضه عليهم اعتقادهم الصادق فى المواقف المختلفة ، وصدق شعورهم ، وسلامة طبعهم ، وغلبة الطابع العملى عليهم ، وفناء أفرادهم فى مجموعهم ، وحرص كل فرد منهم على أن يكون مثلاً للحماسة والشجاعة ، والإخلاص للعقيدة فى كل ساحة .

ومن الجدير بالذكر ، أن الخوارج الإباضية ، مازال لهم وجود رسمى فى بعض البلاد العربية والإسلامية حتى الآن وخاصة فى شرقى الجزيرة العربية ، ويعد الإباضيون أكثر فرق الخوارج اعتدالاً، فهم لا يكفرون مخالفيهم من المسلمين ، ولا يحاربونهم إلا مضطرين بعد الدعوة والحوار، وإقامة الحجة ، وإعلان القتال ، بل إنهم يصهرون إلى مخالفيهم ، ويتوارثون معهم .

ولقد كان أدب الخوارج مصداقاً لكل هذه المنطلقات الفكرية والعقدية ، فياضا بحرارة العاطفة ، وصدق الشعور مسجلاً لحركتهم الدائبة فى مواجهة كل القوى السياسية ، والدينية القائمة على امتداد العصر.

رابعاً : الحزب الزبيرى :

ينسب هذا الحزب إلى : عبد الله بن الزبير بن العوام ([1]) ، وترجع فكرة الدعوة الأولى له ، إلى أيام بيعة علىّ عقب مقتل عثمان ، فلقد كان

---

[1] – هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى ، أول مولود فى المدينة بعد الهجرة ، شهد فتح إفريقيا فى زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ ، عقب موت يزيد بن معاوية ، وتوفى سنة ٧٣هـ (الأعلام جـ٤ / ٨٧).

الزبير بن العوام يطمح فى الأمر ، أو بعضه لنفسه ، فنقض بيعته لعلىّ ، ورحل مع طلحة بن عبيد الله إلى مكة ،وضمّا إليهما السيدة عائشة ([1]) ، وخرجوا يتبعهم بعض أنصارهم إلى البصرة ، وأعلنوا رفض البيعة لعلىّ ، والمطالبة بدم عثمان أولاً ، وكان عبدالله ابن الزبير معهم فى ذلك ، بل كان أكثرهم حماسة إلى مناهضة علىّ ، وربما كان يطمح إلى الخلافة ، خاصة بعد أن رشحته السيدة عائشة للصلاة بالناس طيلة الرحلة من مكة إلى البصرة ([2]) فلما كانت وقعة الجمل ، ومقتل الزبير ، وطلحة ، وعودة السيدة عائشة إلى المدينة ، خمدت الفكرة فى رأس عبد الله ، وافتقد الأنصار ، فعاش خاملاً مقهوراً أيام النزاع بين على ومعاوية ، ثم إنه عندما آل الأمر إلى معاوية ، حرص على مشاركته حروب أعدائه وفتوحاته ، بعد أن أغدق عليه معاوية موفور المال ، وأشعره بسمو منزلته ، ولعل فى هذا الطريق وسيلة للحصول على الخلافة بعد معاوية، لذلك لم يحتمل الأمر حين رأى معاوية يستخلف ولده يزيد من بعده ، فأعلن الرفض ، ولكن معاوية اضطره إلى البيعة .

وبمجرد أن مات معاوية ، نقض عبد الله وأنصاره البيعة ليزيد ، وانتقل إلى مكة ، وعاذ بالحرم ، فلما بلغه مقتل الحسين وأرسل له أهل المدينة أن ليس للأمر من بعد الحسين سواه ، أعلن الثورة على الأمويين ، ونهض يدعو لنفسه بالخلافة سنة ٦١ه ([3]) .

---

[1] – هى عائشة بنت أبى بكر الصديق ، ولدت عام ٩ ق.هـ ، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، تزوجها النبى (ص) فى السنة الثانية بعد الهجرة ، وروت عنه أحاديث كثيرة ، وتوفيت فى المدينة المنورة عام ٥٨هـ (العقد الفريد،لا بن عبد ربه ، جـ١/١٢٥) .

[2] – يراجع : تاريخ الطبرى ، ج٥ /١٦٥.

[3] – تراجع : البداية للحافظين كثير ، تخريج وتحقيق / أحمدجاد ، ج٤، جزء٨/٢٣٢ دارالحديث القاهرة ٢٠٠٤م.

وثار أهل المدينة كذلك على عثمان بن محمد بن أبى سفيان والى يزيد عليهم ، وطردوه وطردوا معه من بالمدينة من بنى أمية ([1]) ، ولما بلغ يزيد بن معاوية ذلك ، أعد جيشاً للانتقام، وأرسله إلى المدينة بقايدة مسلم بن عقبة المرّى ، وكانت وقعة الحرة سنة٦٣ ه ، التى كانت أبشع اعتداء على مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وحرمة صحابته ، حيث أبيحت ثلاثة أيام لجيش يزيد بن معاوية ، ثم اتجه جيش مسلم إلى مكة لإخضاع ابن الزبير ، وفى طريقه إلى مكه مات مسلم بن عقبة ، فخلفه الحصين بن نمير السكونى ، الذى حاصر مكة ، ورمى الكعبة بالنيران والحجارة ، فتهدمت أركانها ، ثم بلغه موت يزيد، ففك الحصار،وعاد إلى الشام ([2]) .

وخلف يزيدَ ابنُه معاوية ،فزهد فى الخلافة ، وتنازل عنها بعد أقل من شهرين ، واختلط الأمر على الأمويين ، فليس فيهم من يصلح للخلافة ، أو يرجوها .

وكانت هذه هى الفرصة المناسبة لرواج ابـــن الزبير ، فأعلن نفسه خليفة ،وأخــذ البيعة من أصحابه ، ودانت له الحجاز كلها وتبعها العراق ، ومصر ، واليمن ،وأكثر جهات الشام ، وكادت الشام ، تدين له كلها بالولاء ، لولا أن مروان بن الحكم – الذى بويع بالخلافة بالشام – جمع أصحابه ، ولقى الضحاك بن قيس الفهرى – قائد جيش ابن الزبير ووالیه على الشام – وتمكن من هزيمته فى " مرج راهط "([3]) سنة ٦٤-٦٥ه ([4]) .

---

[1] – يراجع : تاريخ الطبرى ، ج٦ / ١٩٤.

[2] – السابق ، ج٧/٥-١٤، ١٠٢.

[3] – مكان معروف بالشام على بعد أميال من دمشق ، وفيه التقى جيش مروان بن الحكم بابن الزبير ، وهزمه شر هزيمه فى نهاية عام ٦٤ هـ ، وقيل: فى بداية عام ٦٥هـ .

[4] – تراجع : البداية والنهاية ، جـ٤، جزء ٨ / ٢٣٤.

وظل ابن الزبير مشغولاً بتأمين الأمصار المختلفة، وتوفير الاستقرار لها فى مواجهة جبهات مختلفة،يعينه فـــى ذلك أخوه مصعب ، ومرت سنوات قلائل ، واستطاع عبد الملك بن مروان ، الذى ولّى الخلافة بعد موت أبيه ، أن يجهز جيوشه ، ويخرج للقاء مصعب فى العراق ، ويبدد شمل أنصاره ، ويعيد العراق إلى شمل الأمويين .

ثم أرسل عبد الملك عامله وقائده المشهور " الحجاج بن يوسف الثقفى " لحرب عبد الله بن الزبير فى مكة ، فحاصرها أكثر من ثمانية أشهر ، وقذف الكعبة بالنيران فاحترقت ، عندئذ طلب أهل مكة الأمان لأنفسهم ، وتخلوا عن ابن الزبير، الذى استبسل فى قلة من أهله وأصحابه الأوفياء حتى قتل سنة ٧٣ه على يد الحجاج بن يوسف ، وأرسلت رأسه إلى عبد الملك ، ففرح بذلك ،وأمر بصلب جثته عند الحجون ([1]) .

بعدذلك ، دانت مكة والحجاز للأمويين من جديد ، وبهذه النهاية انتهى الحزب الزبيرى ، الذى لم يتح له الوقت ، لكى يكوّن أنصاره نظرية فكرية يحملها أنصارهم وخلفاؤهم من بعدهم ([2]) .

- وكان عبدالله بن الزبير يستند فى طلبه الخلافة إلى عدة أمور ،تجدر الإشارة إليها، منها :
- أنه كان يرى أن الخلافة حقاً لقريش ، ينالها منهم أكفؤهم ،ولم يكن هناك من هو أكفأ منه بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ، كما كانـــت الظـــروف مواتية على نحو لم يتوفر له أيام موت عثمان أو على .

---

[1] – راجع : البداية والنهاية ، جـــ٤ / جزء ٣١٧/٨. والحجون : بفتح الحاء : موضـــع بمكة حذاء المسجد .

[2] – راجع : الأخبار الطوال/ ٣٠٤.

- أنه كان يشعر – فى داخله – بنوع من السمو الذى يرقى به فوق معاوية ، والبيت الأموى عامة، فهو ابن الزبير بن العوام ، حوارى رسول الله (ﷺ) ، الذى خاض معه بدراً ، وسائر الغزوات ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين حصر عمر الخلافة فيهم بعد طعنه .
- أنه يتصل برسول الله(ﷺ) بصلة قربى من طرق شتى ؛ فأبوه ابن صفية بنت عبد المطلب، عمة الرسول(ﷺ) وجده لأبيه أخو خديجه أم المؤمنين ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وخالته عائشه أم المؤمنين ، التى كانت تدعوه ابنها ، وتعده لطلب المعالى.
- أن الرأى العام ، لم يكن يميل إلى الأمويين ، خاصة بعد قتلهم الحسين فى كربلاء ، واستباحتهم حرمات المدينة ، واعتدائهم على البيت الحرام ، واستبدادهم بالأمر ، وتتبعهم لبنى هاشم فى تعنت وقسوة.
- أنه كان –فى ذلك الوقت – شيخاً جاوز الستين ، معروفاً بالتقوى ، والزهد ، والتحرج الدينى ، ولا جدال فى رجحان كفته كفة معاوية بن يزيد الذى شاع عنه اللهو والمجون .

وهكذا ، انتهى الحزب الزبيرى بنهاية ابن الزبيرى ، ولم يبق منه إلا شعر شعرائه ، والذى سوف ندرسه مع شعر بقية الأحزاب فى الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى ...

الفصل الثانى
الاتجاهات الموضوعية للشعر السياسى فى العصر الأمويّ

أولاً : شعر الأمويين وأبرز أغراضه :

يقصد بالشعر السياسى :ذلك اللون الفنى الذى تولّد من الأحداث السياسية ، والتكتلات الحزبيةالمنطلقة إلى الحكم، والراغبة فى الوصول إليه ، منذ بدايات النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، وعلى وجه التحديد : منذ أعلن معاوية إسناد أمر الخلافة من بعده إلى ابنه يزيد ، حيث تحزبت الدولة ، وبدأ لكل حزب أنصاره ، ومؤيدوه من الشعراء وغيرهم.

وسوف نتعرف على شعر وشعراء هذه الأحزاب ، ونقف على أهم المضامين والاتجاهات التى تغياها كل حزب ، من خلال ماسوف نعرضه من نماذج شعرية له فى هذا المقام .

وفيما يخص شعر الحزب الأموى، نقول : إنه صحب النشاة السياسية الأولى لهذا للحزب ، على نحو ما رأينا فى نعى الحجاج بن خزيمة عثمانَ إلى معاوية – وربما كان شعر الحجاج ، وشعر معاوية فى ذلك الوقت ، ثم شعر الوليد بن عقبة فى اتهام بنى هاشم بقتل عثمان ، ورفض البيعة لعلىّ ، وإعلان الحرب عليه – هو أول شعر سياسى يناصر الأمويين ، ويؤسس دعواهم ، ثم ظل الشعر يصحبهم فى حروبهم ومنازعاتهم ، حتى آل الأمر لمعاوية .

ومنذ ذلك الحين ، تعددت مناحى القول من الشعر المناصر لبنى أمية ، والمحتج لخلافتهم ، حتى غدا صـــدى لأفكارهم ، وسجلاً لتاريخهم ، وصورة لملامح سياستهم فى مختلف الجوانب ، وتعددت مضامينه واتجاهاته ، وكان منه مايلى :

١ – الاحتجاج للخلافة والخلفاء :

شىء طبعى أن يجتمع شعراء بنى أمية على تأييد الأمويين ، ومناصرتهم فى جل آرائهم ، سواء ما يتصل منها بالشأن السياسى أو غيره .

ومن هذا المنطلق ، رأينا " أبا العباس الأعمى "([1]) يمدح الأمويين – وكان من خاصة شعرائهم – بأنهم سموا عن النظير فلا شبيه لهم فى رجاحة العقل ، وحسن السياسة ، ووفرة الخير .....ولقد كان هذا سبباً فى أن اختصهم الله بأمر المسلمين ، على الرغم من حقد المعارضين ، الذين لم يكن لصوتهم أن يسمع لولا حلم الأمويين عليهم ، فيقول ([2]) :

أَبنى أميةَ لا أرى لكمُ شبهاً ، إذا ما التفّت الشيعُ
سعةٌ وأحلام إذا نَزَعَتْ أهتلُ الحلوم فضرَّها النَّزْعُ
الله أعطاكم ، وإنْ رَغمِتْ من ذاك أنفُ معاشرٍ رفعوا
أَبَنى أمية غير أنكمُ والناسُ فيما أُطْمِعُوا طَمَعُوا
أطمعتمُ فيكم عدوَّكمُ فَمَا بهمْ فى ذاكمْ الطمعُ

ويرى شاعر آخر ، وهو الأخطل ([3])، أن الله فضل الأمويين على من سواهم ، واختصهم بالسيادة؛ لأنهم أهل لذلك، وليس كذلك من يضع نفسه موضع المقارنة بهم ، فيقول فى هذا المعنى ([4]) :

تمتْ جدودهمْ والله فضّلهمْ وجدَّ قوم سواهم خاملٌ نُكُدٌ

---

[1] – شاعر أموى الهوى والمنزع ، عاش أيامه فى رحاب بنى أمية ، يمدحهم ويغدقون له العطاء .

[2] – الأغانى ، لأبى الفرج الأ صفهانى ، جـ١٥/٦٠ ، طبعة دار الشعب ،القاهرة ١٩٦٩م ، ولأبيات من الكامل .

[3] – هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة التغلبى ، أموى المنزع والهوى ، ولد عام ١٩ هـ ، وتوفى عام ٩٠ هـ (الأعلام ، جـ٥ / ١٢٣) .

[4] – ديوان الأخطل ، تحقيق : فخر الدين قباوة / ١٧٢ ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق بيروت ١٩٧٩م ، والأبيات من البسيط .

ويوم صِفّين والأبصارُ خاشعةٌ أمدّهم- إذ دَعَوا- من ربهم مَدَدُ
وأنتمُ أُهلُ بيتٍ لا يوازنُهم بيتٌ إذا عُدَّتِ الأحسابُ والعدَدُ

وهو يؤكد هذه المعانى ، ويزيدها مبالغة حين يمدح عبد الملك بن مروان ، بقوله ([1]) :

إلى إمام تُفادينا فواضلُهُ أَظفره اللهُ فَلْيهنأ لـه الظَّفرُ
الخائضُ الغمر واليمونُ طائرة خليفةُ اللهِ يُستسقى به المطرُ
والمستمرُّ به أمرُ الجميع فما يَفْتَرّهُ بعد توكيدٍ لـه غَرَرُ
أعطاهم اللهُ جَداً يُنصرون به لا جدَّ إلا صغيرٌ بعدُ محتقرُ

ولأن الشعراء المعارضين للحزب الأموى ، كانوا دائماً يذهبون إلى أن الأمويين ليسوا أحق بالخلافة ، بل ليسوا أهلاً لها مطلقاً ، فإن الاحتجاج لهم كان يأتى أشبه برد الفعل التأثرى لتلك الدعاوى ، أو الدفاع فى مواجهة ذلك الهجوم .

يبدو ذلك فى قول نابغة بنى شيبان([2]) ، إذيقول ([3]) :

معشرٌ معدنُ الخلافةِ فيهمْ بَـدْؤها منهمُ وفيهم تحورُ
لا يَـرُوَمَنَّ مـلكهم آدميٌّ إن من رام ملكهم مغرورُ

كما تبدو النغمة نفسها فى قول " العجاج " ([1]) الذى يقرن الاحتجاج بمدح الخليفة الأموى عبدالملك ابن مروان ، الذى اختاره الله لهذا الأمر ، يقول فى ذلك ([2]) :

---

[1] - السابق /٩٨، والأبيات من البسيط .

[2] - هو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس ، شاعر بدوى من بنى شيبان ، اتصل بالخلفاء الأمويين ومدحهم ، وتوفى سنة ١٥٢هـ(الأعلام جـ٤ / ١٣٦) .

[3] - ديوان نابغة بنى شيبان / ١٢٣ ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢م ، والأبيات من الخفيف .

فـالأرض لله ولاّهـا خـليـفـتـهُ وصاحبُ الله فيها غير مغلوبِ
بعد الفساد الذى قد كان قام به كذابُ مكة عن مكر وتـخريبِ
والناسُ فى فتنةٍ عمياء قد تـركتْ أشـرافـهـم بين مقتول ومحروبِ
دَعَـوا لـيستخلف الرحمنُ خيرهمُ والله يـسمـع دعوى كل مكروبِ
فـأصبح اللهُ ولّـى الأمر خـيرهمُ بعد اختلاعٍ وصدعٍ غير مشعوبِ
تراث عـثمـان كـانوا الأوليـاء بـه سربالُ مـلكٍ عليـهم غير مسلوبِ

ولما كان الشاعر الأموى- المحتج للخلافة الأموية والخليفة- مدركاً لتميز خصوم الأمويين عليهم ، فيما يتعلق بالورع ، والتقوى ، والسبق فى الإسلام ، وما يتعلق بذلك من مقومات الروح الدينية ، نجده يوجه عنايته إلى هذه الأمور ، ويركز على تأكيدها فى حق خلفاء بنى أمية ، باعتبارها سبيل جدارتهم ، ورسوخ الملك فيهم .....

يقول النابغة الشيبانى فى مدح يزيد بن عبد الملك (٣) :

أُعطىَ الحلم والعفافَ مع الجو دِ ، ورأيا يفوق رأى الرجال
وحـبـاهُ المليك تـقـوى وبراً وهو من سوس ناسكٍ وصّال
يقـطع الليل آهـةً وانتـحـاباً وابـتـهـالاً لله أى ابـتـهـالِ
تـارة راكـعـاً وطـوراً سجوداً ذا دمـوعٍ تـنـهـلُّ أى انهلالِ
عادلٌ مـقسطٌ ومـيزانٌ حـقٍ لـم يَحِفْ فى قـضـائه للموالى
محسنٌ مـجـمـلٌ تـقـى قـويٌ وهـو أهل الإحسان والإجمالِ

---

١ - عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدى التميمى ، راجز مجيد ، ولد فى الجاهلية ، ثم أسلم ، وتوفى عام ٩٠هـ (الأعلام جـ٤/٨٦)

٢ - الديوان / ٢٥، والأبيات من البسيط .

٣ - ديوان نابغة بنى شيبان /٦٨، والأبيات من الخفيف .

ونلحظ أن شعراء الحزب الأموى ، كانوا يفرطون – أحيانا – فى الادعاء ، ويمعنون فى المبالغة ، حتى لتأتى أوصافهم أبعد ما تكون عن حقيقة الموصوفين .

من ذلك ماجاء عند " حارثة بن بدر الغدانى ([1])" فى مدح " زياد بن أبية " أول من بطش بالهاشميين من أبناء علىّ وصحبه ، يقول ([2]) :

ألا من مبلغٌ عنى زياداً فنعم أخو الخليفة والأميرُ
فأنت إمام معدلةٍ وقصدٍ وحزم حين تحضرك الأمورُ
أخو خليفةِ الله بن حربٍ وأنت وزيره ...نعم الوزيرُ
بأمر الله منصور معانٌ إذا جار الرعيةُ لا تجورُ
وكنت حياً وجئت على زمان خبيث ظاهر فيه شرورُ
فلما قام سيف الله فيهم زياد قام أبلج مستنيرُ

وقد تصل هذه المبالغة – أحياناً – إلى أن يكون الكلام غير مقبول لدى الذوق العام ، كما جاء فى قول الفرزدق ([3]) يمدح يزيد بن عبد الملك ([4]) .

ولوكان بعد المصطفى من عباده نبىٌ لهم منهم لأمر العزائمِ
لكنت الذى يختاره الله بعده لحمل الأمانات الثقال العظائمِ
ورثتم- خليل الله- كل خزانةٍ وكل كتاب بالنبوة قائمِ
وحبلك حبل الله من يعتصم به إذا نالـه يأخذ به حبلَ سالمِ

---

[1] – هو حارثة بن بدر بن حصين التميمى الغدانى ، تابعى من أهل البصرة ، أموى المنزع والهوى ، توفى سنة ٦٤هـ (الأعلام ، جـ٢ /١٥٨) .

[2] – تنظر الأبيات فى : تاريخ الطبرى ، جـ٤/ ١٦٨، ١٦٩، والأبيات من الوافر

[3] – هو همام بن غالب بن صعصعة التميمى الدارمى ، من أهل البصرة النبلاء، اتصل بالخلفاء الأمويين ومدحهم ، وتوفى سنة ١١٠هـ (الأعلام ،جـ٨/١٩٣) .

[4] – ديوان الفرزدق ، جمع وتعليق : عبد الله إسماعيل الصا وى ، جـ٢/٢٩٨، مطبعة الصاوى ١٩٣٦م ، والأبيات من الطويل .

وهكذا ، يشعر من يقرأ هذه النماذج القليلة المأخوذة من جم غفير من الأشعار التى قيل فى الأمويين – أن خير الأمة مقرون بخلافة بنى أمية ، فهى خلافة مستقرة ، ينعم الناس – على اخـــــــــــتلاف أصولهم –فى ظلها بالاستقرار والسعة وقد اختص الله بها خلفاء هم أهل حزم ، ودين ، وبر، وورع ، يسهرون على راحة الرعية ، ويعرفون واجباتهم تجاهها، ولذا لاتصح الخلافة إلاّ بهم ، ولا تجوز فى غيرهم ، ولايصح أمر المسلمين إلا فى ظل رجالاتها من بنى أمية ، ولأجل هذا استحقوا عون الله وتأييده وسداده ، وليذهب الحاقدون والرافضون والمنافسون لهم إلى الجحيم .

ونلحظ ، أن الشعراء الأمويين كانوا يقومون بدور الجهاز الإعلامى المدرك للتكوين النفسى والاجتماعى للمتلقين ، لذا أمعنوا فى الإلحاح والتكرار لمفاهيم معينة ؛ رغبة فى ترسيخها ، وتأكيدها ، وإحلالها محل غيرها ، على نحو لا يستطيع الناس الفرار منها ، أو الانشغال بغيرها ولعل هذا هو السر فى ارتفاع النبرة الخطابية فى شعر الأمويين .

٢ – مواجهة المعارضة :

منذ اليوم الذى أعلن فيه معاوية بن أبى سفيان نفسه خليفة للمسلمين عامة ، وهو يعلم مافى نفوس المعارضين من كراهية لبنى أمية ، وعدم الرضا بخلافتهم ، لذلك كان حريصاً على مواجهتهم بكل الوسائل الممكنة ، والتى كان من بينها : شعر الشعراء المؤيدين ، وقد أوعز إلى الشعراء بالرد على خصوم بنى أمية ومعارضيهم ، وشجعهم على هذا الأمر .

ومن ذلك قول " كعب بن جعيل التغلبى "([1]) مصوراً التفاف أهل الشام حول معاوية وإصرارهم على رفض الانضمام إلى مبايعى علىّ ([1]) .

---

[1] – هو كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبى ، شاعر مشهور، مدح الأمويين ، ولزم بلاطهم ، توفى نحو عام ٥٥هـ (الأعلام جـ٥/٢٢٥) .

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كـارهـيـنـا
وكـلالـصـاحـبـه مـبـغـضـاً يرى كل ماكان من ذاك ديـنـا
إذا مـا رمـونـا رمـيناهمُ ودِنّـَاهمُ مـثـل مـا يـقـرضونا
وقـالـوا : عـلـىّ إمام لنا فقلنا : رضينا ابن هندٍ رضينا
وقـالوا : نـرى أن تـدينوا له فـقـلنا لهم : لا نرى أن ندينا
ومـن دون ذلك خـرط القتاد وضـربٌ وطـعـنٌ يُقرُّ العيونا

ويقول أعشى همدان([2]) مباركاً ظفر الحجاج بأهل الفتنة من شيعة العراق ، ذاكراً أن الله أعان الأمويين، ونصرهم عليهم ([3]) :

أبـى الله إلا أن يُـتـمّـمَ نـوره ويُطفئَ نـور الـفـاسقين فـيخمدا
ويـظهر أهل الحق فى كل موطنٍ ويعدلَ وقعُ السيف من كان أصيدا ([4])
ويـنـزل ذلّ بـالـعـراق وأهـلـهِ لمانقضوا الـعـهدَ الوثيق الـمـؤكـدا
وما أحـدثـوا من بدعةٍ وعظيمةٍ مـن القول لم تَصعدَ إلى الله مصعدا
ومانكثوا من بيـعـةٍ بـعـد بيـعـةٍ إذا ضمنوها اليوم ، خاسوا بها غداً
فلاصدق فى قولٍ ولا صبر عندهُمْ ولـكـنَّ فـخـراً فـيـهـمُ وتـزيُّـداً
فـكـيف رأيـت الله فـرق جـمعهم ومـزَّقـهـم عُـرْضَ البلاد وشرَّدا

---

[1] – الأخبار الطوال /١٧٠، والأبيات من المتقارب .

[2] – هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمدانى ، كان من شعراء الدولة الأموية ، ثم انحاز إلى ابن الأشعث الخارجى ، فضرب الحجاج عنقه سنة ٨٣هـ (الأعلام جـ٣ /٣١٢) .

[3] – تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ / ٣٢، والأبيات من الطويل .

[4] – الأصيد : هو المتكبر

وعلى شاكلته نجد قول "أعشى ربيعة ([1]) مشجعاً عبد الملك بن مروان على قتال ابن الزبير، حين دخل عليه مرة فوجده متردداً فى الخروج إليه ومحاربته ([2]) :

آل الـزبير مـن الـخلافة كالتى عجل النتاج بحملها فـأحـالها
أو كا لضعاف من الحمولة حَمّلتْ مالا تُطيق فضيّعت أحمالها
قوموا إليهم، لا تـنـامـوا عـنـهـمُ كم للفواة أطـلـتم إمهـالـهـا
إن الـخـلافـة فـيـكمُ لا فـيـهـمُ مازلـتمُ أركـانـهـا وثـمـالـهـا ([3])
أمسوا على الخيرات قفلا مغلقاً فانهض بيمنك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك بن مروان ، وقال: صدقت ياأبا عبد الله ، إن أبا خبيب لقُفل دون كل خير، ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله ([4]) .

ولقد بلغت الرغبة من شعراء بنـى أميـة فـى الـرد علـى الخـصوم والمعارضين لهم حدَّ التزيد والتكلف الممجوج، وذلك حـين اصـطنعوا فكـرة المهدى ،أو السفيانى المنتظر؛ رداً على فكرة المهدى المنتظر التـى أشـاعها الشيعة ومن ذلك قول الفرزدق سليمان بن عبد الملك ([5]) :

أنت الذى نعت الكتابُ لنا فى ناطق التورة والزبرِ
كم كان من قسّ يخبرنا بخلافة المهدى أو حبرُ
جعل الإله لنا خلافته برءَ الجروح وعصمة الجبرِ

---

[1] – هو عبد الله بن خارجه بن حبيب بن أبى ربيعة بن ذهل ، شـاعر إسـلامى، مـن ساكنى الكوفة ، كـان شديد التعصب لبنى أمية ، توفى عام ٩٢ هـ (العقد الفريد ، لابـن عبد ربه ، جـ١/ ٣٣٩) .

[2] – الأغانى ، للأصفهانى ، جـ١٦/١٦٣، والأبيات من الكامل .

[3] – الشّمال : الغياث الذى يقوم بأمر جماعته ،وهى مثل كتاب وزناً

[4] – ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجى زيدان ، جـ١/ ١٦٣.

[5] – ديوان الفرزدق/ ٣٧٣ ، والأبيات من الكامل .

كم حلَّ عنّا عدلُ سنته منَ مغْرمٍ ثقلٍ ومن إصرِ

وهكذا ، حرص منبر الشعر الأموى ، على إرضـــاء الخلافـــة ، وإظهـــار الهمة العالية فى مواجهة خصومهم،حتى وإن جاءت أشعارهم فى هذا الشأن ، واضحة التكلف ، شديدة التعمل .

٣ – مناصرة الولاة والقواد :

ألمحتُ – سابقاً – إلى أن خلفاء بنى أمية ، قد أطلقوا أيدى بعض الولاة والقواد المخلصين فيماتحت أيديهم ، ومنحوهم حق التصرف باسم الخلافة ؛ رغبة فى تكوين جبهات المعارضة القوية ، ومن هنا برزت أسماء هؤلاء الولاة ، وشاعت أفعالهم وعلت منزلتهم ، واستهوت قصورهم الشعراء المعجبين بهم ، والطالبين لعطاياهم ، شأنهم –فى ذلك – شأن الخلفاء فى دمشق .

ولقد احتلت شخصية " الحجاج بن يوسف الثقفى " والى العراق من قبل الخليفة عبدالملك بن مروان حيزا متفرداً فى هذا الشأن ، ومن هنا تعددت وقفات الشعراء أمام تلك الشخصية ، وأمام إنجازاتها المتميزة فى خدمة الخلافة الأموية، وقهر خصومها ، وتشتيت معارضيها .

وها هو ذا " جرير "([1]) يشيد بدور الحجاج فى تتبع المناوئين ، والقضاء على اللصوص وقطاع الطرق، حتى شاع الأمن والعدل بين الناس ، وذلك حين يقول ([1]) :

---

[1] – هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبى اليربوعى التميمى ،ولـــد فـــى اليمامة عام ٢٨هـــ ، و نزع نحو الأمويين فمدحهم ، ونال عطاياهم ، توفى سنة ١١٠هـــ (الأعلام ، جـــ٢/ ١١٩) .

من سدَّ مطلع النفاق علـــيكمُ أم من يصول كصولة الـحجاجِ

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يـثـقــن بـغــيرة الأزواج

إن ابن يوسف فاعلموا وتـيقنوا ماضى العزيمة واضـح الـمنهاج

ماض على الغمرات يُمضى همَّه والليل مـختلف الطرائق داجى

منع الرشاد وأراكمُ سبل الهدى واللـــص نكـله عــن الإدلاج

وإذا رأيــت مـــنافقين تخيروا سبـل الضجاج أقمت كل ضجاج

داويتهم وشفيتهم مـن محنةٍ غــبراء ذات دواخــن وأجــاج

فقد وصف الوالى بما كان الخليفة أهلاً له ، إذ لم يُبق الحجاج على منافذ النفاق ، كما أنه شجاع غيور على العرض ، نافذ الهمة ، واضح السياسة ، يعرف الخلاص من الشدائد ، وقد مكّنه ذلك من توفير العدل والأمان ، وهو لا تأخذه الشفقة بالمنافقين واللصوص ، ومن يعيثون فى الأرض فساداً،فقد أمنت السبل بوجوده ، وشفيت الأمة من داء المفسدين .

ومن المفارقات ، أن تُغضب هذه القصيدة عبدَ الملك بن مروان ؛ حيث مدح واليه بما يجب أن يمدح به هو ، لذا يروى أنه قال لجرير : لقد هممتُ أن أطير بك طيرة بطيئا سقوطها ، مما جعل محمد ابن الحجاج ، وجريراً يلاطفانه ، ويسترضيانه ، حتى عفا عنه ([2]) .

---

[1] – ديوان جرير ، تحقيق : نعمان محمد أمين / ٩٠ ، ط٢ ، دار المعــارف ١٩٨٦م ، والأبيات من الكامل .

[2] – يراجع : معالم التاريخ الأدبى فى العصرين الأموى والعباسى الأول /٤٢.

وإذا كان الحجاج قد مدح بالشدة والحزم عند منازلة الخارجين على الدولة،فإن"حبيب بن عوف"([1]) يمدح "المهلب بن أبى صفرة " ([2]) حين وفق فى تشتيت الخـــــوارج ، ويحمد له حكـــــمته فى التعامل معهم، وذلك فى قـــــوله ([3]) :

أبـا سعيـد جـزاك الله صـالحة فقد كَفيتَ ، ولم تعنف على أحدِ

داويت بـالحلم أهل الجهل فانقسموا وكنت كـالوالـد الحـانى على الولدِ

ولعل إسهام الشعراء فى هذاالمقام ، كان أحد أسباب غرور القواد وصلفهم ، التى دفعتهم إلى مجاوزة الحدود فى الإحساس بذواتهم ، وتقدير أهميتهم بالنسبة للخلافة ، على نحو ماحدث للمهلَّب بن أبى صفرة الذى صُرف عن ولاية الأهواز([4]) ، وكان عليه لبيت المال مليون درهم ، ومثل خالد القسرى، الذى كان يأخذ خلسة ثمانية مليون درهم فوق راتبه .

ومـــــن العجب : أن هـــــؤلاء الولاة لم يكتفوا بسرقة أموال بيت مال المسلمين ، وإنما تجاوزوا ذلك إلى فرض ضرائب استثنائية كانوا يغالون فيها ، ويشتدون فى طلبها ، ويعذبون من يتأخر عن دفعها لفقره أو عجزه،

---

[1] – هوحبيب بن عمروبن عوف الأوسى القحطانى ، أحد جنود المهلب بن أبـــى صـــفرة (الأعلام جـــ٢ /١٦٦) .

[2] – هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة ، ولد عام ٧ هـــ ، وولى إمارة البصرة ، وهو أموى المنزع ، حارب الأزارقه زمنا طويلا ، حتى تم له الظفر عليهم ، ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، وظل فيها حتى سنة ٨٣ هـــ (يراجع : العقد الفريد ، جـــ١ /١٣١).

[3] – تهذيب الكامل ، جـــ١ / ٢١٥،والأبيات من البسيط .

[4] – الأهواز : بلد يجمع سبع كور ، وهى كورة الأهواز ،وكورة جنود يسابور ، وكورة السوس ، وكورة سرق ، وكورة نهربين ، وكورة نهر تيرى ، وكورة مناذر (معجم ما استعجم، جـــ١/ ٢٠٦) .

وهو ما أوقفه " عمر بن عبد العزيز "[1] حين تولى الخلافة ، وكان مما كتبه إلى عامله فى خراسان : إن الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه جابياً" (٢) .

٤- وراثة الملك وولاية العهد :

معاوية بن أبى سفيان أول من ابتدع فكرة ولاية العهد ، وتوريث الخلافة ، وما كاد يفعل ، ويعرب عن رغبته فيه حتى وجد من الشعراء من يبارك الفكرة ، ويدعوا لها ، بل يحاول أن يضفى عليها سمات الشرعية الدينية .

ولقد كان " مسكين الدارمى" (٣) أول من انبرى لتأييد معاوية فى دعوته لمبايعته ولده يزيد ، وانتقال الخلافة إليه من بعده .

ويقال : إن معاوية كان قد أوعز إليه ، أن يقترح أمر هذه البيعة ؛ ليعلم الرأى فى ذلك ، فقال مسكين فى ذلك (٤) :

بنى خلفاء الله مهــلاً فإنما ... يبوئها الرحمن حيث يريدُ

إذا المنبر الغربى خلاّه ربّــه ... فإن أمير المؤمنين يزيــد

فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزلْ ... وفود تساميها إليك وفودُ

ولا زال بيتُ الملك فوقك عاليــاً ... تُشيّد أطنابٌ له وعمودُ

قدور ابن حربٍ كالجوابى وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرئال ركودُ

ويقال : إن معاوية حين أتم الشاعر إنشاده ، قال : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله –وحين يموت رأس الدولة (معاوية) ويتولى يزيد

---

[1] – هوعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، ولد عام ٦١هـ ، وهو أحد خلفاء الدولة الأموية بالشام ، اشتهر بالعدل والزهد ، وتوفى عام ١٠١هـ (الأعلام جـ٥ /٥٠).

[2] – الدراسات الأدبية ، د/ عبد الرحمن وأخرين /٩.

[3] – هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح الدارمى التميمى ، شاعر عراقى شجاع ، أموى الهوى ، توفى عام٨٩هـ (الأعلام جـ٣ /١٦) .

[4] – الأغانى ، ج٨ / ٧١، والأبيات من الطويل .

الخلافة ، ينظم الشاعر الأموى " عبدالله بن همام السلولى"([1]) قصيدة فى رثاء معاوية الأكبر،ويحض يزيد على البيعة لابنه معاوية الثانى ، فيقول ([2]) :

اصبر يزيدُ فقد فارقت ذامقةٍ ... واشكر حباء الذى بالملك حاباك

لارزء أعظمُ فى الأقوام نعلمُه ... كما رزئت، ولا عقبى كعقباكَ

أصبحت راعى أهل الدين كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكَ

وفى معاوية الباقى لنا خلفٌ ... إذانُعيت ، ولا نسمع بمنعاك

وحين أراد عبد الملك بن مروان أخذ البيعة لابنه الوليد ، وتنحية أخيه عبد العزيز عنها ، وجد من الشعراء ترويجاً وعوناً ، يقول نابغة بنى شيبان محتجاً لذلك ([3]) :

لابنُكَ أولى بملك والده ... ونجمُ من قد عصاك مُطَّرَحُ

داود عَدْلٌ فاحكم بسنته ... ثم ابن حربٍ فإنهم نَصَحُوا

وكذلك حاول الوليد بن عبد الملك أن يأخذها لابنه عبد العزيز دون أخيه سليمان ، وحاول سليمان تولية ابنه

" أيوب " العهد وحرمان يزيد الذى كان الأمر معقوداً له من بعده .

وهكذا ، كان الشعر يُزيّن للخلفاء الفعل ، حتى حين يكون مجافياً للروح الإسلامية ، وكان الشعراء يجتهدون فى إقناع الرأى العام بسلامة التصرف ، وتميز الحكمة فيه ، حتى ليرسخ فى أذهان الجميع أن صلاح شئونهم رهن به .

---

[1] – وهو عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح السلولى ، من مرة بن صعصة أموى الهوى ، توفى عام ١٠٠هـ (الأعلام جـ٤/١٤٣) .

[2] – طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحى ، ت : محمود شاكر/ ٥٢٤ ، طبعة المدنى ١٩٧٤م ، والأبيات من البسيط .

[3] ديوان نابغة بنى شيبان /٦٨، والأبيات من البسيط .

٥- إثارة العصبيات القبلية :

من الخطط التى ابتدعها ابن أبى سفيان فى بداية عهده : إغراء بعض القبائل ببعض ، وإثارة العصبيات القبلية والصراع الداخلى ، حتى تعلو كلمته كلمة الجميع ، وتخبو كل الأصوات أمام صوته .

ومما يروى : أن الأخطل التغليبى ، كان عند الملك بن مروان ، وكان عنده كذلك بعض سادة قيس ، فأنشده الأخطل فى حضرتهم مدحاً يفخر فيه بانتصارات الأمويين وأتباعهم من القبائل اليمنية على قبائل قيس المناصرة لا بن الزبير فى مرج راهط ، وكان مما قاله على مسمع من الجحّاف ([1]) زعيم القيسية آنذاك قوله ([2]) :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائرٌ بقتلى أُصيبت من سُليم وعامرِ

أجحّاف إنْ نهبط عليك فتلتقى عليك بحورٌ طاميات زواخر

تكن مثلَ أبداء الحُباب الذى جرى به البحر تزهاه الرياحُ الصراصرُ

فوثب الجحاف يجر طرفه ، وما يعلم أحد مقدار ما به من الغيظ والغضب ، وهو يقول :

نعم ، سوف نبكهم بكل مهنَّد ونُبكى عميراً بالرّماح الخواطر

ثم جمع جموعه من قيس ، وأغاروا على تغلب فى مساكنهم ، فقتلوهم ، ومثلوا بهم،وذلك هو يوم " البشر"[3] الذى يقول فيه الأخطل :

---

[1] - هو الجحّاف بن حكيم السلمى ، ثائر وشاعر ، كان معاصرا لعبد الملك بن مروان الذى أهدر دمه ، فهرب إلى الروم ، ثم أمنه الوليد بعد موت عبد الملك، توفى سنة ٩٠هـ (العقد الفريد، جـ ١/١٣٦) .

[2] - ينظر الخبر فى : الأغانى ، جـ١١/ ٦٠ ، والأبيات التى جاءت فى الحوار من بحر الطويل .

[3] - البشر : أسم ماء لبنى تغلب (اللسان ،جـ٤/ ٦٣).

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعوَّلُ

ثانياً : شعر الشيعة وأبرز أغراضه :

سبق أن ذكرت أن الشيعة : هم الداعون بعدم أحقية الخلافة لغير بنى هاشم ، ومن نسل على ابن أبى طالب ، بطريق التسلسل الوراثى ، بحيث لا تخرج منهم الإ بوصية ([1]) .

وذكرتُ – كذلك – أن ا لشيعة من أقدم الأحزاب السياسية نشأة فى الإسلام ، وأن أصحابه كانوا يصدرون فى آرائهم عن اقتناع شخصى بوجهة نظرهم ، ومن ثم كانوا يدافعون عنها بحماسة واضحة، ويدفعهم إلى التمسك بها : إيمان لا يتزعزع ، واعتقاد لاينال منه قهر أو إحباط .

وكان من بينهم عدد من الشعراء ، الذين جعلوا من شعرهم صوتا قوياً ، يعلن عن الاحتجاج لفكر الشيعة وآرائهم ، والوقوف فى وجه خصومهم ، وتصوير حبهم لآل البيت ، وتسجيل مواقفهم مع معارضيهم ، ورثاء شهدائهم الذين وقعوا صرعى فى حومات الوغى، مما يشهد بكثرة شعرهم ، وتعدد مضامينه، والتى منها مايلى :

١ – التغنى بصفات آل البيت ولوم خاذليهم :

وضع الشيعة عدة شروط ، ينبغى توافرها فى الإمام ؛ وهى: أنه هاشمى ، عالم ، زاهد ، تقى ، شجاع، كريم ، وجواد ، وقد حرص شعراؤهم على ترديد هذه الصفات ، ونسبتها إلى أئمتهم .

ومن ذلك ما جاء على لسان الكميت الأسدي ([2]) :

---

[1] –الآثارالواردة عن عمر بن عبد العزيز فى العقيدة ، حياة محمد جبريل ، جـ٢/ ٢٢٧، ط١ ، الجامعة الاسلامية ٢٠٠٢م.

[2] – الكميت بن زيد بن خنس الأسدى ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة ، ولد عام ٦٠هـ ، وتوفى عام ١٢٦هـ (الأعلام ، جـ٥/٢٣٣).

الحماةُ الكماةُ فى الحرب إن لفّ ضراماً وقودُها بضِرامِ
والغيوثُ الذين إنْ أمحلَ الناسُ فمأوى حواضن الأيتامِ
غالبيين هاشميين فى العلم رُبُّوا من عطيةِ العلاَّمِ
وهم الآخذون من ثقةِ الأمر بتقواهم عرى لا انفصامِ([1])

وهذا "أيمن بن خذام الأسدى " الشاعر المتشيع لعلىّ وبنى هاشم ، ويمدح الهاشميين ، ويبدى مقارنـــــة قاسية بينهم وبين الأمويين ، فيقول لبنى هاشم ([2])

نهاركمُ مكابدةٌ وصومٌ وليلكمُ صلاةٌ واقتراءٌ
أأجعلكم وأقواماً سواءً وبينكمُ وبينهم الهواءُ
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماءُ

ولما كان أهل البيت بهذا الفضل ،وتلك المنزلة ، كانوا أولى بالنصرة والدفاع عنهم ، لذا يشعر جلُّ شعرائهم بالألم وتأنيب الضمير ؛ لخذلانهم فى مختلف المواقف التى كان يجب على الجميع نصرتهم فيها ، والوقوف إلى جانبهم .

ولعل خذلان " الحسين " والتخلى عنه حتى قتل مع خيرة أصحابه ، وأهله شر قتلة ، كان من أبرز المواقف ، وأعمقها أثراً فى نفوسهم .

ومن ذلك ما جاء عند أبى الأسود الدؤلى ([3]) فى قوله ([1]) :

---

[1] – القصائد الهاشميات ، الكميت بن زيد الأسدى /٢ ، بيروت ١٩٧٢م. والأبيات من الخفيف .

[2] – الأغانى ، للأصفهانى ، جـ٢١/٦ ، والأبيات من الوافر .

[3] – هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى ، ولد عام ١ ق.هـ ، وهو من التابعين ، اتصل بعلى بن أبى طالب ، ثم اتصل بمعاوية ، ومات عام ٦٩هـ(الأعلام ، جـ٣/٢٣٦) .

مــاذا تــقــولـون إن قـال الـنبى لـكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأممِ
بـعـترتـى وبــأهـلــى بـعـد مفـتـقـدى منهم أسارى وقتلى ضُرّجوا بدمِ
هل كان هذا جزائى إذ نصحتُ لكم أن تخلفونى بسوءٍ فى ذوى رحمى؟

وفى هذا الجانب أشعار كثيرة ومتنوعة ، يعجز الباحث عن حصرها ، أو الإحاطة بها .

٢- مواجهة الخصوم :

حين رفع معاوية بن أبى سفيان راية العصيان فى مواجهة الإمام على ، ورفض البيعة ، وأعلن الحرب ، وجدنا شاعره " كعب بن جعيل" يعلن رضا الشاميين بخلافة معاوية ، ورفضهم البيعة لعلىّ، وقدردَّ عليه " النجاشى بن الحارث " (٢) بقصيدة منها (٣) :

دعنْ يا معاوىُ ما لن يكونا فقد حـقق الله ما تحــذرونا
أتــاكم عـلىّ بـأهل الـعراق وأهــــل الحجاز فما تصنعونا ؟
عـلـى كلّ جرداءَ خيفانةٍ وأشعثَ نَهــدٍ يسرُّ العيونا
عـليهــا فــوارس تـحسبهم كأُسد العرين حمين الــعرينا
يرون الطعان خلال العجاج وضربَ القوانس فى النقع دينا
همُ هزموا الجمع جمع الزبير وطلحة والمعشر والناكــثينا
وقـالـوا يمينا عـلـى حـلـفـةٍ ولنهدى إلى الشام حرباً زبـونا
تشيب النواصى قبل المشيب وتُلقى الـحـوامل منها الجنينا

---

١ - مناقب آل أبى طالب ، لأبى جعفر محمد بن على السَّرْوى ، تحقيق د. يوسف البقاعى ، جـ٣/ ٢٦٢ ، الطبعة الثانية ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنـــان ١٩٩١م ، والأبيات من البسيط .

٢ - هو قيس بن عمرو بن مالك ، أصله من اليمن ، واستقر فى الكوفة ، ومدح معاوية ، وتوفى عام ٤٠هـ (الأعلام، جـ٥/ ٢٠٧) .

٣ - تهذيب الكامل ، ج١/ ٤١ ، والأبيات من المتقارب .

فالشاعر –كما نرى – يشيد بقوة العلويين ، ويرسم لهم صورة تخيف خصومهم من الأمويين ، وتلقى بالرعب فى قلوبهم كما أنها تحمل بين أعطافها تهديداً يقذف به الشاعر فى وجوه القوم ، فسوف يواجهون من العلويين يوما عبوساً قمطريراً، تشيب منه النواصى ، وتلقى من خطره كل ذات حمل حملها.

ويقول الكميت فى بنى أمية ([1]) :

فقل لبنى أمية حيث حلوا وإن خفت المهنَّد والقطيعا
ألا أُفٍ لدهر كنتُ فيه هَدَاناً خاضاً لكمُ مطيعاً (٢)
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أُجيعا
بمرضىّ السياسة هاشمىّ يكون حياً لأمته ربيعاً
وليثا فى المشاهدِ غير نكْسٍ(٣) لتقويم البرية مستطيعاً

ولم تقف مواجهة العلويين لخصومهم من الأمويين فقط ، وإنما امتدت إلى غيرهم ، فهذا هوالكميت ، يضيق بمسلك الخوارج ، وإباحتهم الحرمات ، فيشيد بموقف علىّ معهم يوم النهروان ، ويتمنى أن يرويه الله من دمائهم ، فيقول ([4]) :

إنى أدين بما دان الوصىُّ بـه يوم النخيلة من قتل المحُلّينا (٥)
وبالذى دام يوم النهر دنت به وشاركت كَّفه كفى بصفينا
تلك الدماء معاً يارب فى عنقى ومثلها فاسقنى .....آمين آمينا

---

[1] – الهاشميات /٣ ، والأبيات م الوافر .

[2] – الهدان : الجبان الرعديد .

[3] – النكس : هو الجبان الضعيف .

[4] – تهذيب الكامل ، ج١/٨٦ ، والأبيات من البسيط .

[5] – الوصى : هو الإمام على . والمحلين : هم الخوارج.

وهكذا، نجد الشاعر الشيعى ينطلق – غالباً – من تجارب يعاينها ، ومواقف يواجهها ، ومنطلق يَصدُق دفاعه عنه ،وانطلاقه منه ، فيتحدد فى ضوء ذلك الخصم ، وتتحدد كذلك طبيعة المواجهة .

٣- حب آل البيت :

منذ عهد البعثة المحمدية ، وحب آل بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يملك على الناس قلوبهم ، ويحـــــــــــل منهامـــــــــوضع القبـــــــول والرضا ، ولكن هذا الحـــــــــب تحـــــــــول عند الشيعة إلى مذهب خاص ، واعتقاد له مبرراته فى وجه أعدائهم وخصومهم ، الذين سلبوهم حقوقهم فى وراثة الرسول ﴿ﷺ﴾ ، وخلافته فى أمر المسلمين .

يقول أبو الأسود الدؤلى ([1]) :

بنـوعـم النبى وأقـربـوه أحـب النـاس كـــلهم إليَّا
فإن يك حبهم رشداً أُصبه ولست بمخطئ إن كـــان غيا
همواهل النصيحة من لدنى وأهـــل مودتى مادمتُ حيا
رأيت الله خالق كل شىءٍ هـــداهم واجتبى منهم نـبيـاً
هموآسوا رسول الله حتى تـربّـع أمـره أمـــراً قـــويـاً
وأقـواماً أجـابـوا الله خـوفـاً له، لا يعلون لـــه سميًّا(٢)

ويقول الشاعر " حرب بن المنذر بن الجارود " متغنياً بحب آل البيت ([3]) :

فحسبى من الدنيا كفافٌ يُقيمنى وأثوابُ كتان أزور بها قبرى
وحبى ذوى قربى النبىّ محمدٍ فماسا لنا إلا المودة من أجرِ

---

[1] – ديوان أبى الأسود الدؤلى ، تحقيق : عبد الكريم الدجيلى / ١٧٦ ، بغداد ١٣٧٣م ، والأبيات من الوافر .

[2] – كلمة (أقواماً) منصوبة عطفاً على كلمة (نبياً) فى البيت قبل السابق .

[3] – البيان والتبيين ، جـ٣ / ٣٦٥ ، والأبيات من الطويل .

ومع أن شعراء الشيعة كان لهم دور كبير ، فى إثارة مشاعر الشفقة والحب لآل البيت ، والدعوة إلى الثورة على بنى أمية ، غير أنه لم تظهر لهم سوى بعض الانتقاضات الفردية القليلة ، وغير المؤثرة أمام بطش الحكام آنذاك ، بينما ظلت الكثرة منهم تذرف الدموع ، ولا ترغب فى إشراع السيوف؛ مفضلين التقّية ؛ مخافة أنْ يُنكّل بهم ، فتنقطع آمالهم وآمال الناس فيهم .

٤ – رثاء قتلاهم :

فى ظل الحكم الأموى عانى الشيعة من الألم والمرار ، فقد اشتدت قسوة الحكام الأمويين وقادتهم عليهم فى مختلف المواقف ، فكثر سقوط القتلى منهم ، وكان الأحياء يرثون هؤلاء الشهداء الذين وقعوا صرعى فى حومات القتال رثاء قوياً ، تتجسد فيه اللوعة والحزن ، والإحساس بالقهر والظلم ، مع كون الحق الضعيف إلى جانبهم ، والباطل الغشوم مع خصومهم .

وسوف نورد بعض النماذج فى هذا الشأن ، وهى نماذج – كما سنرى – تدل على مبلغ الظلم والغيظ الذى عانى منه الشيعة فى ظل الخلافة الأموية .

يقول " سليمان بن قتة "([1]) فى رثاء الحسين ([2]) :

مـررتُ عـلـى أبيات آل محمدٍ ... فلم أرها كـعهـدها يـوم حُلَّتِ

وكـانوا رجـاءً ثم صـاروا رزيةً ... وقد عظمت تلك الرزايا وجلَّت

ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً ... لفقد حسينٍ والـبلاد اقـشعرَّتِ

وقـد أعـولت تبكى السماء لفقده ... وأنجـمهـا نـاحت عـليه وصلَّتِ

فـلا يبعدُ الله الـديار وأهـلـهـا ... وإن أصـبحتْ منهم برغمى تخلَّتِ

فإن قتيل الطَّفِّ(١) من آل هاشمٍ ... أذلَّ رقـاب الـمسلمين فـذلّـتِ

---

[1] – سليمان بن قتة شاعر عاش فى العصر الأموى ، وكان يدين بحب الهاشميين ، وله فيهم أشعار كثيرة.

[2] – مقاتل الطالبيين ، لأبى الفرج الأصبهانى، تحقيق : السيد أحمد صـقر / ١٢١ ، دار المعارف بيروت ، والأبيات من الطويل .

وفى شعر الخوارج ، يختلط رثاء الشهداء نبرة التخويف ، والإنذار بالانتقام من قاتليهم ، ومن ذلك مارود فى قول " المفضل المطلبى " فى رثاء زيد بن على بن الحسن ([2]) :

ألا ياعين لا ترقى وجودى ... بدمعك ليس ذا حين الجمودِ
وكيف تضن بالعبرات عينى ... وتطمع بعد زيد فى الهجود
وكيف لها الرقاد ترائى ... جياد الخيل تعدو بالأسود
بأيديهم صفائح مرهفات ... صوارم ، أُخلصتْ من عهد هودِ
بها نسقى النفوس إذا التقينا ... ونقتل كلَّ جبار عنيد
ونُحكمُ فى بنى الحكم العوالى ... ونجعلهم بها مثل الحصيد

ولم يقف رثاء الشيعة عند الأئمة الكبار منهم فحسب ، وإنما جاءت عديد من مرثياتهم فى قوادهم ورجالاتهم ، ومن ذلك ماجاء من رثاء " عبدالله بن خليفة الطائى " لحُجر بن عدى وأصحابه الذين قتلهم معاوية فى " مرج عذراء" لعدم تبرئهم من على ([3]) :

فدع عنك تذكار الشباب وفقده ... وأسآره إذ بان منك فأقصرا
وبَكِّ على الخلّان لما تخرّموا ... ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
وماكنت أهوى بعدهم متعلَّلا ... بشئ من الدنيا ولا أن أعمرا
فيا حجرُ مَن للخيل يُدمى نحوَرها ... وللملك المغرَى إذا ما تغشمرا ؟
ومن صادع بالحق بعدك ناطق ... بتقوى ، ومن إذا قيل بالجور غيَّرا ؟
فنعم أخو الإسلام كنت وإننى ... لأطمع أن تؤتى الخلود وتحبرا

---

[1] – الطف : مكان بالعراق قريب من الكوفة .

[2] – السابق نفسه / ١٤٩ ، والأبيات من الوافر .

[3] – يرجع إلى الأبيات فى : تاريخ الطبرى ، جـ٦ / ١٥٨، ١٥٩، والأبيات من الطويل .

وقد كنت تعطى السيف فى الحرب حقه وتـعـرف معـروفـاً، وتـنـكر مـنكراً

٥- المهدية والرجعية :

تعد فكرة المهدى المنتظر ، ورجوعه كى يملأ الأرض عدلاً ، ويرد الحق المسلوب إلى أصحابه : من أبرز معتقدات الشيعة وخاصة الغلاة منهم (الرافضة) ، وهم يقصدون بالمهدى المنتظر كما سبق أن أشرت : محمد بن الحنفية ([1])، وهوالإمام الثانى عشر عندهم ، ويطلقون عليه الحجة ، كما يطلقون عليه القائم ، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه فى سرداب "سُرّ مَنْ رأى "ويدعونه للخروج ، ولهم فيه خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل ([2]) :

وقد عبر شعراء الشيعة عن هذا المعتقد فى كثير من أشعارهم ، كما جاء ذلك عند كثير عزة[3] (شاعر الكيسانية الأول) وذلك فى قوله ([4]) :

ألا إن الأئمة من قـــريش ولاة الحـق أربعـــة سواءُ

على والثلاثة مـــن بنيه هـم الأسباط ليس بهم خفاءُ

فسَبْط سَبْـــط إيمان وبر وسَـبْـط غـــيبتـه كربـلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيـــل يتبعها اللواءُ

تـغيـب لايـُرى فـيهـم زمـانـاً برضوى عنده عسلٌ وماءُ

---

[1] - هو محمد بن على بن طالب الهاشمى القرشى ، المعروف بابن الحنفية ، ولد عـــام ٢١هـــ ، وهو أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام، كان واسع العلم ورعا ، تـــوفى فـــى المدينة عام ٨١هـــ (العقد الفريد ، جـــ٢/ ٣٥٢) .

[2] - يراجع : أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، د. على محمد الصلابى /٦٧٨، ٦٧٩، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع – المنصوره ٢٠٠٧ م.

[3] - هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى ، من أهل المدينة ، وكـــان مقيماً فى مصر، توفى عام ١٠٥هـــ (الأعلام ، جـــ٥ /٢٠١٩)

[4] - الأغانى ، جـــ٨/ ٣١ ، والأبيات من بحر الوافر التام .

فالشاعر يبدأ كلامه بإثبات الخلافة للعلويين ، ثم يشير إلى أن " محمد بن الحنفية " لم يمت ، وإنما تغيب عن الناس فى جبل رضوى ، حتى يحين وقت رجعته .....

وهو قول يجسد فكر الشيعة الذى استقر فى أعماق شعرائهم ، ونضحت به أشعارهم ، يقول أحد شعرائهم " وهو السيد الحميرى"([1]) سائراً على الدرب نفسه ([2]) :

ألا قل للوصىّ : فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما
ألا حىّ المُقيم بشِعْب رضوى وأهد له بمنزله السلاما
أضرّ بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادَوا فيك أهل الأرض طراً مغيبُك عنمُ سبعين عاما([3])
لقد أمسى بمورق شِعْبُ رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولةَ طعم موتٍ ولا وارتْ له أرضٌ عظاما

ثالثاً : شعر الخوارج وأبرز أغراضه :

تعد فرقة الخوارج من أكثر الأحزاب السياسيةديمقراطية ، وأشدهم اعتزازاً بالرأى ، وفناء فى المبدأ ، ولم يتخلوا عن ذلك أو يلينوا فيه منذ ابتداء أمرهم يوم صفين ، وحتى نهايتهم ، كل ذلك على الرغم من تعدد فرقهم ، واختلاف آرائهم فيما بينهم ، وهذا ما يسجله شعرهم ، الذى يفيض حماسة وصدقاً فى التعبير عن تلك الروح المتميزة .

وبالنظر الدقيق فى شعر الخوارج ، نجده يتوزع داخل عدة موضوعات أو مضامين ، والتى منها مايلى :

---

[1] – هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، هاشمى الهوى ، ولد عام ١٠٥هـ ، وتوفى عام ١٧٣ هـ (الأعلام ، جـ ١/ ٣٢٢)

[2] – الأغانى ، جـ١، ٣١. والأبيات من الوافر التام .

[3] – مغيبك : فاعل الفعل أضر فى البيت السابق .

١ – التقوى والزهد :

كثرت المنظومات الشعرية التى نظمها شعراء الخوارج فى التقوى والزهد كثرة هائلة ؛ تجسيداً لمواقفهم الفكرية والعقدية ، وإن كان المطّلع على صفاتهم ، وبعض آرائهم الاعتقادية ، سرعان ما يزهد فيهم ؛ لكثرة خلطهم وغلطهم ([1]) .

ومما ورد فى وصف الخوارج ، وتصوير تقواهم ماجاء عند " الطرماح بن حكيم"([2]) فى قوله ([3]) :

لله درُّ الشراة إنهمُ إذا الكرى مال بالطلا أرقوا ([4])

يرجعون الحنين آونة وإن علا ساعة بهم شهقوا

خوفا تبيت القلوب واجفة تكاد عنها الصدور تنفلق

قوم شحاح على اعتقادهمُ بالفوز مما يُخاف قد وثقوا

ويسير على الدرب نفسه شاعرهم " عمرو بن الحصين " ([5]) حين يحاول تقديم باقة من صفاتهم فى هذا النص، إذ يقول ([6])

متأهّلون لكل صالحة ناهون من لاقوا عن النُكُرِ

---

[1] – يراجع : أسمى المطالب فى سيرة على بن أبى طالب / ٥٠٩ ، وما بعدها .

[2] – هو الطرماح بن حكيم بن الحكم ، من طيئ ، شاعر إسلامى فحل ، ولد فى الشام ، وكان خارجى الهوى ، توفى نحو ١٢٥هـ ، (الأعلام ، جـ ٣/٢٢٥) .

[3] – ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق د. عزة حسن / ٥٧٨ ، دمشق ١٩٥٦ م ، والأبيات من مجزوء البسيط .

[4] – الطلا : الأعناق ، والكرى : النوم .

[5] – هو عمران بن الحصين بن عبيد ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خيبر ، وتوفى بالبصرة عام ٥٢هـ (الأعلام جـ٥/ ٧٠) .

[6] – ديوان شعر الخوارج ، تحقيق الدكتور / إحسان عباس / ٢٤٧، ٢٤٨ ، دار الشروق ١٩٨٢م ، والأبيات من الكامل ،

صُمُتٌ إذا احتضروا مجالسهم وُزُنٌ لقول خطيبهم وُقُر
متاوهون كأن جمر غضاً للخوف بين ضلوعهم يسرى
تلقاهم ألاءً كأنهم لخشوعهم صدروا عن الحشر(١)
فهمُ كأن بهم جوى مرض أو مسَّهم طَرَف من السحر
لا ليلهم ليلٌ فيلبسهم فيه غواشى النوم بالسَّكر
إلا كذا خِلَساً وآونة حذرَ العقابِ وهم على ذُعْر

٢ – الشجاعة وطلب الموت :

الخوارج من أكثر الناس شجاعة وإقداماً فى الحرب ، تعبيراً وتجسيداً لفنائهم فى سبيل عقيدتهم ، وقد كان " قطرى بن الفجاءة " (٢) فارس الجماعة ، وأمير جماعتهم ، مقداماً ، يطلب الموت فى كل لقاء ، ومن شعره الذى يتعجل به الشهادة ويتعجب من إخطاء الموت إياه ، مع كثرة طلبه ، وشدة رغبته فيه يقول (٣) :

إلى كم تعادينى السيوف ولا أرى مضاربَها تُهدى إلى حماميا
ولو قرب الموتَ القراعُ لقد أَنَى لموتى أن يدنو لطول قراعيا
أُغادى جلاد المُعْلَمين كأننى على العسل الماذى أصبُح غاديا
وأدعو الكماة للنزال إذا التقنا تحطم فيما بيننا من طعانيا
ولست أرى نفسا تموت وإن دنت من الموت حتى يبعث الله داعياً
إذا استلهب الخوفُ الرجالَ قلوبُهم حبسنا على الموتِ النفوسَ الغواليا

---

١ – ألَّ يئلُّ أُلأً وأليلاً بمعنى : أنَّ ، وحنَّ ، ورفع صوته بالدعاء (اللسان ، ج١١/٢٣ مادة أَلِلَ)

٢ – هو قطرى بن الفجاءة بن مازن بن يزيد الكنانى المازنى التميمى ، خارجى الهوى والمنزع ، وكان من رؤساء الأزارقة ، توفى عام ٧٨هـ (الأعلام ، جـ٥ ، ٢٠٠) .

٣ – لباب الآداب ، مجد الدين أسامة بن منقذ ،تحقيق أحمد شاكر/٢٢٤، ٢٢٥،ط٢، مكتبة السنة ، القاهرة ١٩٨٧م ، والأبيات من الطويل .

وهناك ظاهرة واضحة فى شعرالخوارج ، وهى استبسالهم فى الجهاد ، ورغبتهم الأكيدة فى الموت ، لاسيما حين يتذكرون إخوانهم الذين سبقوهم إلى الشهادة .

ومن ذلك قول شاعرهم" أبو بلال مرداس بن أدية "([1]) بعد مقتل عبدالله بن وهب الراسبى ([2]) :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أُرجّى سلامة وقد قتلوا زيدَ بنَ حصنٍ ومالكا
فيا ربَّ سلّم نيتى وبصيرتى وهب لى التقى حتى ألاقى أولئكا([3])

وعادة ما تقترن الشجاعة بالإقدام ، وطلب الموت ؛ تجسيداً للموقف العقدى الذى يؤمن به الخارجى، ويمضى مدفوعاً إليه لا يلوى على شىء.
ومن ذلك ماجاء عند " الرهين المرادى " ([4]) فى قوله ([5]) :

يانفس قد طال فى الدنيا مرواغتى لا تأمننّ لصرف الدهر تنفيصاً
إنى بائع ما يفنى لباقية إن لم يعقنى رجاء العيش تربيصا([6])

---

[1] – هو مرداس بن حديربن عامر بن عبيد بن كعب الربعى ، ويقال له مرداس بن أدية ، خارجى الهوى، وتوفى عام ٦١هـ (الأعلام ، جـ ٧/ ٢٠٢) .

[2] – هو عبد الله بن وهب الراسبى ، من ائمة الإباضية ، وكان ذا علم ورأى وفصاحة وشجاعة ، كان مع على بن طالب ثم إنقلب عليه بعد قضية التحكيم (العقد الفريد ، جـ٢ /٣٦٩)

[3] – شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، جـ١ / ٤٤٨، طبعة الحلبى ١٩٦٥– ١٩٦٧م ، والأبيات من الطويل.

[4] – هو ابن مياس المرادى ، من شعراء الخوارج ، له شعر فى فضل على كرم الله وجهه ، وليس له ذكر فى كتب التراجم (البداية والنهاية ، لا بن كثير ، جـ٤/٣٢٠هامش)

[5] – الكامل ،للمبرد ، ج٣ / ٢٦٢، والأبيات من البسيط التام .

[6] – التربص : الإهمال .

وأسـال الله بـيع النفس محتسبا حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا (١)

وابن المنيح ، ومـرداسا ، وإخواته إذ فـارقـوا زهـرة الـدنيا مخاميصـا(٢)

٣- مواجهة الخصوم :

فكرة الخوارج التى قام عليها حزبهم : فكرة أساسها دعوى دينية ، ولهذا كان منطلقهم فى مواجهة الخصوم منطلقاً دينياً فى كل الأحوال ، ومن ثم ، نجدهم ينصحون بعض الخصوم بالحسنى حينا ، ويشتدون بالنصح ، أو يهددون أحياناً ، وقد يصل الأمر إلى تكفير هؤلاء الخصوم ؛ وحربهم أحياناً ثالثة .

ومن ذلك ما نظمه " عمرو بن ذكينة الربعى " إلى عمر بن عبد العزيز عند استخلافه ، يقول (٣) :

قل للموَلَّى على الإسلام مؤتَنَفاً وقد يُرى أنه رثَّ القوى واهِ

أزرى به معشرٌ غذوه مـأكلة إنا بنخوة العز والإنـزاف والباه

قصدت سبيل الحق ياعمرُ وإنَّ أخاك فى الله أمثالى وأشباهى

وإنّ لحقت بقومٍ كنت واحدهم فى جـور سـيرتـهم فالحكم للهِ

وعندما يتولى " عبد الملك بن مروان " ويبدأ خلافته بكثير من القسوة والشدة مع معارضيه ، وذلك من خلال إطلاق يد واليه على العراق الحجاج بن

---

١ - الحرقوص : فى الأصل دويبة كالبرغوث ، وهو هنا اسم لأحد السابقين من الخوارج.

٢ - المخاميص : ضامرو البطون ، والمقصود : صائمون ، أو مترفعون عـن الإقبـال على متع الدنيا .

٣ - معجم الشعراء ، المرزبانى ، تحقيق : عبد الستار فـراج /٢٢٣، القـاهرة ١٩٦٠م والأبيات من البسيط التام .

يوسف الثقفى ، نجد " عتيبان بن أصيلة الشيبانى " يقول مخاطباً الخليفة عبد الملك ([1])

فـأبـلـغ أمير المـؤمـنين رسـالـة ... وذو النصح لو تُصغى إليه قريب
أتـذكر إذ دارت عليك رمـاحـا ... بـمـسكـنَ والـكـلبىُّ ثَم غـريـب
فلا صلح مـادامت منـابـر أرضنا ... يـقـوم عـليها من ثـقيف خطيب
فـإنك إلا تُـرض بكـر بن وائـل ... يـكن لك يـوم بـالـعـراق عـصيبُ
فلا ضير إن كانت قـريش عداً لنا ... يـصيبـون مـنـا مـرة ونـصيـب
فـوارسنا من يـلـقـهم يـلق حـتفه ... ومن ينـج منهم ينج وهـو سليبُ

وكان الخوارج يكفّرون خصومهم – كما سبق – أن أشرت إلى مبادئهم – بل كانوا يكفرون من ليس بخارجى ، يشهد بذلك قول" قطرى بن الفجاءة " فى يوم معركة " دولاب " ([2]) الذى كان بين نـافـــــــــع ابن الأزرق وأتباعه من الخوارج من جهة ، وأتباع الأمويين فى البصرة من جهة ثانية ، إذيقول ([3]) :

وضـاربةٍ خدا كريماً علـى فـتـى ... أغـرَّ نـجيب الأمهات كريم
أصيب بدولابٍ ولم تكُ موطناً ... له أرض دولابٍ ودير حميم
فـلو شـهـد تنا يـوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الـكفار كل حريم
رأت فتية بـاعـوا الإله نـفـوسهم ... بـجنات عـدن عـنـده ونـعيم

---

[1] – أنساب الأشراف ، البلاذرى ، ج٧ / ٩٥ ، دار المعارف ١٩٥٩م، والأبيـات مـن الطويل .

[2] – دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، كانت بها وقعة بين أهل البـصرة والخـــــوارج ، وفيهـــــا قتـــــل نـــــافع بـــــن الأزرق زعـــــيم الخوارج (البداية والنهاية ، جـ٤/ ٢٥٢/٨).

[3] – الكامل ، ج٢ / ١٨٢، والأبيات من الطويل .

وحين اشتدت قسوة الأمويين بمعارضيهم ، والخوارج على رأسهم ، ودأبوا على التمثيل بالجثث بعد قتل أصحابها ، نجد الخوارج يقفون فى وجه هذا الأمر ، ويسخرون من الأمويين ، ويعلنون عن استهزائهم بهذا المسلك البغيض .

ومن ذلك ماجاء فى قول أبى بلال بن مرداس بن أدية ([1]) :

ماإن نبالى إذا أرواحنا خرجت ... مـــــاذا فعلتم بأجساد وأوصال

نرجو الجنان إذا صارت جماجمنا ... تحت العـــجاج كمثل الحنظل البالى

إنى امرؤ باعثى ربى لموعده ... إذا القلوب هوت من خوف أهوالِ

وأدّت الأرضُ منى مثلَ ماأخذت ... وقُرّبت لحساب القسط أعمالى

٤ – رثاء قتلاهم :

الجهاد مبدأ أصيل لدى الخوارج ، وهو – فى نظرهم – أفضل من الطاعات ، وأسمى القربات التى يمكن أن يتقرب بها الخارجى إلى مولاه ، ويتوسل بها إلى رضاه .

ولما كانت دواعى الجهاد موجودة وقائمة من حولهم ، كثرت وقائعهم مع خصومهم ، وكثر القتلى من بين صفوفهم ، ومن هنا كثر شعرهم فى رثاء هؤلاء القتلى ، وكان شعراً فياضاً بالعاطفة القوية ، جياشا بالانفعال الصادق .

ومن ذلك قول الجعد بن ضمام الدوسى يرثى صالح بن مُسرج ([2]) :

أيا عين فابكى صالحاً ، إن صالحاً ... شرى نفسه لله يبغى بها الخلدا

وقـد كـان ذا رأى مـبين ورأفـة ... صفوحاً عن العوراء يدفعها عمدا

وقـد كان فى الحرب العوان يَشبّها ... ويُسعـرها بالخيل محبوكةً جُرْدا

---

[1] – شعر الخوارج / ٥٠ ، والأبيات من البسيط التا م.

[2] – أنساب الأشراف ، البلاذرى جـ٧ /٨٧ ، والأبيات من الطويل .

وعلى هذا الدرب تبدو خطا " عيسى بن فاتك الحبطى " وهو يرثى أبا بلال مرداس بن أدية ، وبعض أصحابه حين قتلوا فى بعض معاركهم مع الأمويين ([1]) :

ألا فى الله لا فى الناس شالت بـداودٍ وإخـوتـه الجذوع
مضوا قتـلاً تمـزيـقـاً وصلبـاً تحوم علـيهمُ طـيرٌ وقـوع
إذا مـا اللـيـل أظـلـم كـابدوه فيسفـر عنهمُ وهمُ ركوع
أطـار الخـوف نـومهمُ فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وهكذا ،يبدو رثاء الخوارج لقتلاهم ذا عاطفة قوية جياشة ، وانفعال صادق مشبوب بالحرقة والألم .

٥- العصبية الدينية :

كانت فكرة التسوية من أبرز الأفكار التى آمن بها الخوارج ، ودافعوا عنها ، فلا فرق عندهم بين عربى وأعجمى ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

ومن هنا ، اختفت من بين صفوفهم النعرة القبلية ، والتعصب للأنساب والعشائر ، واجتمعت كلمتهم على العصبية للدين وهو الرأى الذى خرجوا من بداية أمرهم استجابة له ، وتضخية فى سبيله ، مهما كلفهم ذلك من تضييق وعنت أو قتل أو تشريد .

ومن هذا المنطلق نجد " عيس بن الخطى " يقول فى هذا المعنى ([2]) :

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا فخروا ببـكـر أو تـمـيم
كلا الـحيين ينـصر مدَّعيه ليُلحقه بذى الحسب الصميم
وما حسبٌ ولو كرمت عروقٌ ولكـن الـتقىَّ هـو الـكـريم

---

[1] – معجم الشعراء ، المرزبانى / ٢٥٨. والأبيات من الوافر التام .

[2] – العقد الفريد ، جـ٢/ ١٣٩. والأبيات من الوافر.

فالفخر الحقيقى ليس بأن ينسب الإنسان إلى قبيلة عريقة ، أو عصبية قوية ، ولكنه : تقوى الله ، وخوفه سراً وعلانية .

ومن ذلك – أيضاً – قول " الطّرمّاح بن حكيم " ([1]) :

فوارس من شيبان ألف بينهم تقى الله ، نزّالون عند التزاحف

إذا فارقوا دنياهمُ، فارقوا الأذى وصاروا إلى موعود مافى المصاحف ([2])

وإذا كان دوام الحال من المحال كما يقال ، فإن اتحاد الخوارج المنيع ، المستعصى على كل من أراد النيل منه ، قد تسرب إليه الوهن والضعف ، وذلك حين اختلفت آراؤهم ، وتعصب كل منهم لرأيه ، وخرج عن أصحابه ، وانفصل عنهم ، فكثرت فرقهم ، وشاع اختلافهم ، مما أحزن كثيراً منهم ، ورأى فى ذلك عصبية جديدة كانت جماعتهم فى غنى عنها .

يقول شاعرهم" زيد بن جندب الأزرقى " ([3]) مجسداً هذا الموضع ([4]) :

قل للمحلّين قد قرت عيونكمُ بفُرقة القوم والبغضاء والهرب ([5])

كنا أناسا على دين ففرقنا قرع الكلام وخلط الجد باللعب

ماكان أغنى رجالاً ضل سعيهمُ عن الجدال ، وأغناهم عن الخطب

---

[1] السابق نفسه ، والأبيات من الطويل .

[2] – يقصد بالشطر الأخير من هذا البيت ، أن الخارجى إذا مات أوا استشهد ، دخل الجنة ، أخذًا من آيات القرآن الكريم الكثيرة فى هذا الشأن ، وإن كانت الآيات تطلق الحكم ولاتخصصه بفئة بعينها .

[3] – هو زيد بن جندب الإيدى الأزرقى ، خطيب الأزارقة ، وأحد شعرائهم ، وكان ينعت بالمنطيق (الأعلام ، جـ٢/ ١٥٨) .

[4] – البيان والتبيين ، ج١، ٢٦٧، والأبيات من بحر البسيط .

[5] – المحلين : اتهام بإباحة ماحرم الله ، وقد رماهم الكميت بذلك من قبل وهاهو ذا شاعرهم يتهم به الأحزاب الأخرى منهم.

رابعاً: شعر الزبيريين وأبرز أغراضه :

قام عبد الله بن الزبير بأمر نفسه ، ولم يقم بأمره أحد ، يتعصب أو يقدم الحجج والبراهين المقنعة لأحقيته بالخلافة ، فهو وحده الذى رأى نفسه –منذ فترة مبكرة – جديراً بالقيام بأمر المسلمين ، فترقب الفرصة المواتية لطلب هذا الأمر ، وقد واتته هذه الفرصة حين مات معاوية ثم ساعد عليها موت الحسين ، وموت يزيد واضطراب الأمر بين الأمويين –كما سبق أن أشرت – فعلا أمره ، واستجابت لدعوته الأمصار المختلفة ، وظل خليفة المسلمين منذ أواخر سنة ٦٣ه ، حتى قضى عليه عبد الملك بيد الحجاج سنة ٧٣ه ،وهى مدة قصيرة ، شغلته خلالها أمور استقرار الدولة ، وحرب خصومها ،وانتهى الأمر بموته ، فلم تكن هناك أسس نظرية يرفعها هو ، أو يدعو إليها أنصاره فىى حياته أوبعد مماته ، بحيث تشكل نظرية سياسية ، ورؤية خاصة فى الخلافة من بعده ، اللهم إلا ماكان من الاعتزار بالقرشية العربية ، والحرص على أن تكونا الخلافة فيمن توفر له الدين والتقوى والشجاعة والعلم من أبنائها .

ومن هنا : قلّ الشعر الزبيرى ، ولم يُعرف شاعر منح ولاءه خالصاً لآل الزبير ، وخصهم بعطائه الفنى ، وإنما كان كل من ساندهم من الشعراء – وعلى رأسهم عبيد الله بن قيس الرقيات – مدفوعاً بأسباب شخصية ، أو مدفوعاً بكراهية للأمويين،توجهه إلى صفوف خصومهم ، أياكان هؤلاء الخصوم.

ومن هنا يمكن القول : بأن عبيدالله بن قيس الرقيات ، هو شاعر الزبيرين الأول ، وماكان من شعر لغيره فى آل الزبير ، فهو قليل لا يمثل لوناً من الانتماء الحقيقى لهم .

وقد اتجه الشعر الذى قيل فى الزبيريين إلى عدة اتجاهات ، تشمل عدة مضامين ، منها مايلى :

١ – إعلاء الا نتماء القرشى :

كانت الحجة الأساسية التى يستند عليها عبد الله بن الزبير فى استحقاق الخلافة ، هى انتماءه إلى قريش ، وهذا الأمر يمنحه الكثير مـــن أصالة العروبة ، والقرابة إلى الرسول (ﷺ) ، والسبق فى الإسلام .

وقد أدرك الشعراء ذلك ، فأشادوا بهذا الانتماء كثيرا ، وألمحوا إلى أن أمر المسلمين منذ خرج من الحجاز وهو معوج ، والمسلمون فى غمار الأحداث المتوالية تائهون متفرقون فى سبل شتى .

ومن ذلك قول " ابن قيس الرقيات "([1]) مادحاً عبدالله بن الزبير ([2]) :

وابنُ أسماءَ خيرُ منْ مسح الركُ (م) نَ فعالاً ، وخيرهم بنياناً

وإذا قـــيل من هَجَانُ قريش كنتَ أنتَ الفتى وأنت الهجانا([3])

ويذكـــر "ابن قيس الرقيات " أن بقاء قريش المتمثل فى ابن الزبيـــر ، هو بقاء لكل الأحياء ، وأن زواله والقضاء عليه قضاء على كل حى حيث كان ، فالناس بغير قرشى عادل يشبهون غنما من غير راع ، وقد هجمـــت عليهـــا الذئاب من كل صوب وحدب .

يقول مبدياً تعصبه لقريش ، ونفرته من بعد الخلافة عنهم([4]) :

أيها المشتهى فناء قـــريش بيد الله عَمْرهـــا والـفناءُ

إنْ تُودّع من البلاد قريش لايـكن بعدهـم لحىً بـــقـاءُ

لو تقضى وتترك الناس كانوا غنم الذئب غاب عنها الرعاءُ

---

[1] – هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، من بنى عامر بن لؤى ، شاعر قريش فى العصر الأموى ، وكان مقيماً فى المدينة ، توفى عام ٨٥هـ (الأعلام ، جـ٤/ ١٩٦)

[2] – ديوان أبن قيس الرقيات / ١٨٩ ، طبعة بيروت (بدون تاريخ) ، والأبيـــات مـــن الخفيف .

[3] – يقال: رجل هِجان : كريم الحسب نقيه (اللسان ، جـ١٣ ،٤٣٢) .

[4] – الديوان / ١٨٢ والأبيات من الخفيف .

ومن ذلك ما جاء عند " النابغة الجعدى " (١) فى قوله (٢) :

حـكيت لـنـا الـصـديقَ لـما ولـيتنـا وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدمُ

وسوّيت بين الناسِ فى العدل فاستووا فعاد صباحاً حالكُ اللونِ مظلمُ

فبتولية " عبد الله بن الزبير" عادت الخلافة إلى سالف أيامها ، حين كان أبوبكر ، وعمر خلفاء للمسلمين ، يحكمون فيهم بشرع الله.

وإلى جـــانب " عبد الله بن الزبير " استحـــق أخـــوه " مصعب " الإشادة والتقدير لدوره الجليل فى إرساء دعائم الخلافة للزبيريين، وإخضاع أعدائهم ، يقول الشاعر " أبن قيس الرقيات " (٣) :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت منه ، ولا به كبرياء

يتقى الله فى الأمور وقد أفلح من كان همَّه الاتقاء

٢- مواجهة الخصوم :

كان بنو أمية هم أبرز أعداء الزبيرين منذ يوم الحرة ، وحصار جيش يزيد لمكة المكرمة ، ولذلك صب الزبيريون عليهم جام غضبهم قبل غيرهم ، وأخذوا ينسبون إليهم كلَّ بلاءٍ حل بالبلاد ، وكل فتنة أقضت مضاجع المسلمين يقول عبيد الله بن فيس الرقيات (٤) :

كيف نومى على الفراش ولما يشمل الشامَ غارةٌ شعواء

---

١ - هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجعدى العامرى ،زبيرى الهوى والمنزع،مات بأصبهان عام ٥٠ هـ (الأعلام ، جـ ٥/٢٠٧) .

٢ - تهذيب الكامل ، ج١، ٢٢٥، والأبيات من الطويل .

٣ - الديوان / ١٨٤، والأبيات من الخفيف .

٤ - المصدرالسابق نفسه / ١٨٣، ١٤٨ ، والأبيات من الخفيف .

تُذهل الشيخ عن بنيه وتُبدى عن بُراها ا العقيلة العذراء (١)
أنا عنكم بنى أمية مزورّ وأنتم فى نفسىَ الأعداء (٢)
إنّ قتلى بالطفِّ قد أوجعتنى كان منكم – لئن قتلتم شفاء

وعندما يهزم جيش الزبيريين فى مرج راهط أمام جيش حسان بن مالك الكلبى والى الأردن لمروان بن الحكم ، يحزن الزبيريون لذلك حزناً شديداً ، ويجمعون أمرهم على الانتقام من جيش الأمويين، وممن شايعهم من القبائل العربية بزعامة قائدهم حسان بن مالك يقول شاعرهم " زفر بن الحارث[٣] "متحدثاً عن هذا الأمـــــــر[٤] :

أرينى سلاحى لا أبالكِ إننى أرى الحرب لا تزداد إلاَّ تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا وتترك قتلى راهط هى ماهيا
لعمرى لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ لحسان صدعاً بيننا متنائيا
فلا صلح حتى تَنْحِطَ الُخيل بالقنا وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعرى هل تُصيبنّ غارتى تنوخا وحىَّ طىَّ من شفائيا

ولقد سخر الزبيريون من دعاوى الكيسانية (٥) التى روجها المختار وأنصاره من أنهم مؤيدون بالملائكة، فقد رأى الزبيريون أن هؤلاء ماهم إلا مروجون لما ليس فى الإسلام ؛ لأنهم بقايا أصحاب عبد الله ابن سبأ اليهودى .

---

[١] – ا لبُرَّة : الخلخال .

[٢] – مزور : متباعد متجافٍ .

[٣] – هو زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابى ، من التابعين ، مات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، نحو سنة ٧٥هـ (الأعلام ، جـ ٣/ ٤٥).

[٤] – تاريخ الطبرى ، جـ٦ / ٤١ . والأبيات من الطويل.

[٥] – فرقة من فرق الخوارج .

وفى ذلك يقول أعشى همدان ([1]) :

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وإنى بكم باشرطة الشرك عارف
وأقسم ماكرسيّكم بسكينةٍ ... وإن كان قد لُفتْ عليه اللفائف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت ... شبام حواليه ونهد وخارف (٢)
وإنى امرؤ أحببتُ آل محمد ... وتابعتُ وحياً ضُمّنتهُ المصاحف
وتابعت عبدالله لما تتابعت ... عليه قريش شمطُها والغَطَارف (٣)

ويلوم" ابن قيس الرقيات " أهل الكوفة والبصرة ؛ لخذلانهم مصعب بن الزبير وخيانته ، وبيع دمه لعبد الملك بن مروان ، مما أدى إلى مقتله فى موقعة دير الجاثليق ، يقول ([4]) :

لقد أورث المصرينِ خزياً وذلة ... قتيل بدَيْر الجاثليق مقيم
تولى قتال المارقين بنفسه ... وقد أسلماه : مبعد وحميم
فما نصحت لله بكرُ بنُ وائل ... ولا صبرتْ عند اللقاء تميم
جزى الله كوفيا هناك ملامةً ... وبِصْرِيِّهم إن المليم مليم
وإن بنى العلّات أخلوا ظهورنا ... ونحن صريح بينهم وصميم

٣- رثاء موتاهم :

كثرت وقائع الزبيريين مع أعدائهم ، وكثر- كذلك -سقوط أنصارهم فى تلك الوقائع ، ولكن موت " مصعب " على بطولته وشجاعته ، وموت " عبدالله " فى بسالة نادرة ، كانا الحدثين اللذين أثارا إعجاب الناس ، واستمالا قلوبهم ، واستأثرا بكثير من شعر الرثاء .

---

[1] - تاريخ الطبرى ، ج١ / ١٨٧ . والأبيات من الطويل .
[2] - كل من : شبام ، ونهد ، وخارف : أسماء أحياء وقبائل اجتمعت حول المختار .
[3] - الشمط : بيض الرؤس ، والمقصود : الشيوخ الكبار . والغطارف : السادة الأشراف
[4] - الديوان / ١٨٤، والأبيات من الطويل .

يقول " عبيد الله بن قيس الرقيات " فى رثاء عبد الله بن الزبير([1]) :

لو بكت هذه السماء على قوم كـرام بـكت عـلينـا السمـاءُ
عين فابكى علـى قـريش وهـل يُرجع مافات إن بكيتُ البكاءُ
تـرك الـرأس كـالـثغـامة منـى نكبـات تـسرى بهـا الأنبـاءُ

وقال آخر فى رثاء عبد الله بن الزبير ([2]) :

نعى الناعى الزبير فقلت تنعى فتى أهلِ الحجاز وأهلِ نجد
خفيفُ الحاذِ نسّال الفيافى وعبداً للصحابةِ غيرَ عبد (٣)

تلك أشهر الموضوعات والمضامين التى دارشعر الزبيريين فى فلكها ، والتى حاز " ابن قيس الرقيات" فيها على قصب السبق دون غيره، إذ لم يبد لغيره من الشعراء ما يذكر فى مناصرة الزبيريين..

---

[1] – الديوان / ١٨٢ ، والأبيات من الخفيف .

[2] – ديوان الحماسة ، جـ١/ ٤١٤ ، والأبيات من الوافر .

[3] – الحاذ : هو الظهر . ونسّال: مبالغة من الفعل نسل بمعنى أسرع .

الفصل الثالث

الخصائص الفنية للشعر السياسى فى العصر الأموى

بعد أن انتهى بنا الحديث عن المنطلقات الفكرية والعقدية التي انطلقت منها الأحزاب السياسية في العصر الأموي وعلى أساسها قامت وصارعت غيرها ؛من أجل الحفاظ عليها وإبقائها ، وبعد أن أجلنا الطرف في شعر هذه الأحزاب ، ووقفنا على أهم الأغراض والمضامين التي توزعت أشعار كل حزب منها ، يبقى أمامنا الحديث عن أبرز السمات والخصائص الفنية المميزة لشعر كل حزب منها ...

وسوف نشير في الصفحات القادمة – إن شاء الله – إلى سمات وخصائص شعر كل حزب من هذه الأحزاب ....

أولا: سمات شعر الحزب الأموي :

بعد القراءة المتأنية الواعية لكم الأشعار الهائلة الذي قيل في الحزب الأموي وأصحابه ، بدت لنا مجموعة من أبرز السمات الفنية ، والخصائص التي ميزته عن شعر غيره من الأحزاب الأخرى ، وبيانها كالآتي:

١ – تعدد الأغراض والمضامين :

تلك أبرز سمة لشعر الحزب الأموي ، وهي تعدد المضامين التي توزعته ، وتنوع الأغراض التي شغل بها شعراؤه .

ويبدو – جليا – من خلال تلك الأشعار – التي تعددت فيها المضامين ، وتنوعت فيها الأغراض – صدي الموقف السياسي والدستور الإداري الذي وضعه معاوية بن سفيان من أول الأمر ، وتبعه على هديه الخلفاء الأمويون من بعده .

ويبدو في هذا الشعر الهائل – على اختلاف مضامينه – اهتمام واضح بشخصية الممدوح ، سواء أكان خليفة ، أم واليا ، أم قائدا حربيا ، فالشاعر الذي يحتج للخلافة ، لا يراها مستقرة ذات دعائم شرعية ، إلا لأن القائم بأمرها هو الممدوح ، والذي يناهض الخصوم يلتفت إلي المباهاة بالممدوح ، وإعلاء شأنه، والذي يحتج لمبدأ توريث الخلافة والإغضاء عن الشورى ، يفيض في مدح الخليفة القائم ، والخليفة المنتظر ، ويكون على رأس الصفات التي ينسبها الشـــــــعراء للمدوحين من خلفاء بني أمية وولاتهم : التفوق السياسي ، والحنكة الإداريـــة ، والشجاعة في ميادين القتال ، فضلا عن الرزانة ، والحلم ، والتقوى .

وكان طبعيا – والحال كذلك – أن يحفل الشعر المناصر لبني أمية بضروب من المبالغات، مما جعل هــذه المبالغات تبدو ملمحا مطردا ، وسمة عامة في أغلب الأغراض التي سبق التمثيل لها :

٢– التكرار :

التكرار – أيضا – سمة فنية بارزة في شعر الحزب الأموي ، وهو لون من ألوان الإطناب ، يستدعيه المقام ، وتتطلبه الحاجة ؛ لما يتضمنه من أسرار ولطائف تدل على كبير فائدته ، وعظيم شأنه .

وبما أن الممدوح – في هذا اللون الشعري – واحد ، والمادحين كثر ، غلبت على هذا الشعر ظاهرة التكرار ، تكرار المعاني ، والدوران حول أفكار محـــدودة ، وكذلك تكرار كثير من التعبيرات والقوالب اللغوية ، يقع هذا في شعر الشاعر الواحد ، ويقع في شعر الشعراء المتعددين.

٣ – الميل إلى علو النبرة والجلجلة الخطابية ...

الشاعر الذي يناصر بني أمية ، ويرفع مذهبهم ، لا يستند إلى دعامة قوية من وجاهة الحجة وشرعية الموقف ، لذا غلب على أدائه وتصويره : الانفعال ، وعلو النبرة ، والميل إلى الجلجلة الخطابية ، وتبعا لذلك ظهرت آثار الارتجال والتجافي عن الروية ، والمراجعة الفنية، والميل إلى التعميم.

٤– غلبة الأسلوب الخبري .

بالنظر في شعر الحزب الأموي ، نجد كثرة هائلة في الأساليب الخبرية التقريرية المباشرة ؛ وما ذاك إلا لأن شعراء هذا الحزب كانوا حريصين على إقناع الناس بوجهة نظرهم التي يتبنونها في مسألة الحكم ، وهم في الوقت نفسه يدركون أن الناس لن يسلموا لهم بيسر وسهولة ، ومن هنا حرصوا على الإلحاح على أفكار وأوصاف محددة ، مما أدى إلى شيوع وغلبة الأسلوب الخبري ، والميل إلى التقريرية المباشرة ، وقد نتج عن ذلك عدم الاحتفال بعنصر التصوير في الأداء .

وقد سبق أن ذكرت شواهد شعرية كثيرة لشعراء هذا الحزب ، يدرك من يرجع إليها صحة ما ذكرته هنا ، وقد أمسكت عن ذكر بعضها هنا ؛ إيثار للإيجاز والاختصار ...

٥– الميل إلى التكلف :

شـــاع التكلف لدى شعراء هذا الحزب ، وظهرت آثاره على أشعارهم ، ولعل أبرزه ا: الاضطرار إلى تكرار المعاني ، والتعبيرات اللغوية كثيرا ، هادفين إلى اعطاء المعاني مزيدا من البيان والتأكيد ، حيث تثبت في ذهن

المخاطب وتستقر في نفسه ، ولعل السبب في ذلك : أن معظم الشعراء المناصرين لبني أمية كانوا بين طامع في العطاء ، ومتوسل إلى دفع الأذى .

وهـــذا يفسر ما قام به بعض شعراء الأحزاب الأخرى من مدح للأمويين ، فالكميت شاعرالشيعة ، وعبيدالله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين يمدحان عبدالملك بن مروان ، وأيمن بن خزيم شاعر الشيعة ينقطع لعبدالعزيز بن مروان ثم لأخيه بشر .

وفي دواوين هؤلاء الشعراء شعر كثير يفيض بمدح الأمويين ، وآثار التكلف عليه بادية ..

٦ – تأرجـــح الألفاظ بين الرقة والفخامة :

من يقرأ شعر الحزب الأموي الحاكم ، يلحظ : أن ألفاظه تتأرجـــح بين الرقة والفخامة ، فهي تبدو أحيانا سهلة واضحة ، يبدو عليها أثر الرقي الحضاري ، وترف الحياة ونعيمها ، وأحيانا أخرى تبدو قوية فخمة شديدة ..

ولعل السر في ذلك يرجع إلى : اختلاف بيئات هؤلاء الشعراء ، واختلاف ثقافاتهم وانتماءاتهم تبعا لذلك ، حيث كان منهم الأعجمي الذي ثقف اللغة ، وعاش في الحاضرة ، واتصلت حياته بقصور الخلافة والأمراء ، فلان طبعه ، ورقت لغته ، وكان منهم العربي البدوي الذي كان يفد على تلك الحاضـــرة لفترات قصيرة ، ويغشى قصور الخلفاء قليلا ، ثم يرجع إلى صحرائه وجفافه وهـــــذا خشن طبعه ، وفخمت لغته ..

وتبعا لذلك تشكلت الألفاظ الشعرية لدى شعراء الحزب الأموى ، ويرجع ذلك إلى ما سبق مـــن النماذج الشعرية التي مثلنا بها في موضعها ، يجد ذلك واضحا جليا ...

٧- التنوع الموسيقي :

حينُ نجيل الطرف في شعر الحزب الأموي ، ونرهف آذاننا للموسيقى السارية بين أعطافه نشعر شعورا قويا بتنوعها وتعددها ، حيث يقف الذوق عند بعض النماذج التي اختار صاحبها لها ثوبا من الأوزان الطويلة ، وأخرى يختار لها صاحبها وزنا قصيرا ، كما أن جرس الكلمات ورنينها يعلو حينا ، ويخفت حيناً آخر ، تبعا لطبيعة المعاني التي عبر عنها الشعراء ، وتبعا لصدق العاطفة ، ووحدة الانفعال بالموقف أو الفكرة التي يتحدث عنها كل شاعر .

وقــد استطاعت هذه العناصر الفنية أن تؤدي دورها بصورة منسجمة ، مما جعلها تبدو وكأنها خلية متعاونة الأفراد ، وكل منها يعمل لإنجاح العمل الأدبي والوصول إلى مكانة فنية عالية

ثانيا : سمات الشعر الشيعي :

بعد أن طفنا في قراءة شعر حــزب الشيعة ، وتأملنا في نسيجه العام ، ونظرنا بدقة في مضمونه ومحتواه، وجدنا أنه ينطوي على عدد من السمات والخصائص الفنية التي تتناسب مع نشأة الفرقة وتعدد جماعاتها .

وإليك بيانا بأهم هذه السمات والخصائص :

١ – كثرة الأشعار وتنوع المضامين .

أول ما يلاحظ على شعر الشيعة : كثرته ، وتنوع مضامينه ، وهي مضامين تتناسب مع نشأة هذه الفرقة ، وتعدد جماعاتها كما سبق أن أشرت – وصدور هذه الجماعات المختلفة في أدائها ومعتقدها عن فكر ذاتي ، وإيمان غير مفروض ، ولا عارض لرغبة أو رهبة .

وقد دار هذا الشعر الكثير مع التقلبات السياسية التي واجهها الحزب في فتراته المختلفة ، ومن هنا يغلب عليه الطابع السياسي ، إلى جانب الروح الدينية الغالبة على شعرائه .

٢ – الإحساس بالإحباط والقـــهر :

أصحاب المذاهب الشيعي ذوو فكر موضوعي ، واعتقاد مقنع – من وجهة نظرهم – وقد دفعهم هذا الفكر ،وذلك الاعتقاد إلى تحقيق أهداف بعينها ، وقد اصطدموا – على طريق تحقيق هذه الأهداف – بقوى معارضة تحبط كل محاولاتهم من أجل بلوغ هذه الأهداف ، وتسلبهم حقهم المشروع ، ومن هنا : فإن الإحساس بالإحباط والقهر غلب على روحهم ، واتضح فـــي شعرهم متمثلا في نبرة عاطفية حزينة ، كما أملى هذا الإحساس على صياغتهم لونا من الخطابية الملحوظة ، وانفعالا شديدا ، ومال بألفاظهم وتراكيبهم نحو الدقة والتلقائية التي أملتها تلك العاطفة وأثر فيها ذلك الانفعال ...

٣– الخروج عن ضوابط العقل أحيانا :

دفع الشعور بالإحباط واليأس الشيعة – ومنهم الشعراء – إلى التنفيس عن مكبوت أمنياتهم عبر الرؤى والأحلام المتخيلة ، والقصص المنسوجة بخيوط الوهم ، والأفكار غير المنضبطة بقواعد العقل ، والتفكير الموضوعي ، فشاعت في شعرهم روايات تحكي عن مشاركة الجن والملائكة للحسين في كربلاء، وتذهب إلى أن شعراء الجن رثوه وأن نساءهم ناحوا عليه ، وأن الشمس قد كسفت ، وتغير لونها ؛ حزنا على قتلى كربلاء ... وغير هذه الأساطير التي ترضي الذوق الشعبي ، وتصبغ الشعر بتلك الصبغة الشعرية .

٤ – الاقتباس القرآني :

حين نقرأ في أشعار الشيعة ، لا نعدم أثر الثقافة القرآنية على صياغة أشعارهم ، ففي شعرهم تتردد ألفاظ القرآن الكريم ، وعباراته بكثرة ، وهي تمثل جانبا كبيرا من نسجه التعبيري ، وهي سمة فنية بارزة فيه لا يمكن الإغضاء عنها .

٥ – شيوع روح الجدل والاحتجاج العقلي :

طبعي أن تشيع روح الجدل والاحتجاج العقلي في شعر الحزب الشيعي ، لاسيما حين يحاربون ويناقشون خصومهم ، ويبينون لهم وجهة نظرهم ، في محاولة للتغلب عليهم ، وإقناعهم بصحة المعتقد الذي يؤمن به المتشيعون ، وهذا الجدل و الاحتجاج يحتاج إلى لون من إعمال العقل والفطنة ، وتأييد الكلام بالحجة والبرهان الذي يستميل الخصوم .

٦ – التنوع الموسيقي :

الشعر الشيعي – كما سبق أن أشرت – فيه إحساس بالإحباط والقهر والحزن ، وفيه جدل واحتجاج ، ومن شأن هذين اللونين من العاطفة أن يتنوع معهما التشكيل الموسيقي، فيهبط ويخفت حينا ، ويعلو ويحدث ضجيجا في حين آخر ، وإن كانت الأوزان ذات الجرس الموسيقي العالى هي الغالبة ، وهي تناسب النبرة الخطابية ، والانفعال ، وتوهج العاطفة .

هذه أبرز السمات والخصائص الفنية التي يمكن رصدها على الشعر الشيعي ، والتي يعد شعرهم تجسيدا صادقا لا يخرج عنها ..

ثالثا : سمات شعر الخوارج :

ارتبط شعر الخوارج بحركتهم السياسية ، ودار في فلكها ، فهو يسجل موقفهم من الأحزاب السياسية القائمة ، ويصور رأيهم في الحكم القائم ، ويكشف عن صدق إيمانهم ، ووجهة نظرهم ، كما يكشف من مسلكهم العملي في إخراج تلك الوجهة من النظرية إلى حيز التنفيذ .

ومن هنا ، يمكن القول : إن الإطار العام لهذا الشعر ، هو الإطار السياسي ، أما الروح العامة التي تسوده، فهي الروح الدينية ، فلم يكن الدخول إلى معترك السياسة من بادئ الأمر ، ولا المواجهة العملية للخصوم ، ولا الاستبسال في مواجهتهم ، إلا استجابة لواجب ديني هو الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدفاع عن هذا المعروف ، ومساندته بالقوة اللازمة ، ورفض ذلك المنكر ، ومحاربته بكل الوسائل الممكنة .

ومن هنا اتسم شعر الخوارج بمجموعة من السمات والخصائص الفنية ، وبيانها كالآتي :

١ – الصدق والوضوح والتلقائية :

الصدق مبدأ أصيل قامت عليه دعوة الخوارج ، ولذا تمسكوا به ، ولم يتهاونوا فيه لا شكلا ولا مضمونا ، ولذا غلب على شعرهم الإخبار بلغة الحقيقة ، وقلة الصور مع تشابهها، وصدق الانفعال ، وحرارة العاطفة وروح الحزن ، والوضوح – كذلك – قرين الصدق ، وجناح قوي من أجنحته ، فليس من أفكارهم الغموض ، أو تأسيس الأمور على قــواعد من الشك ، ولذا كانت التلقائية ، وصدور الأحكام المباشرة ديدنهم ، وأصلا من أصول دعوتهم ،والقارئ لشعرهم الكثير ، يجد ذلك واضحا جليا ً .

٢- شيوع النزعــة الحماسية :

شاع في شعر الخوارج لون من النزوع الحماسي بصورة واضحة ، فأشعارهم تصور أجواء من التخطيطات والاستعدادات الحربية ، وقد دفعهم هذا النزوع إلى اللجوء إلى الخطابية، ورفع نبرة الصوت ، تجسيدا لموقفهم ، وإظهار ما ينطون عليه من انفعال عاطفي مشبوب .

٣- شيوع المقطوعات :

غلبت المقطوعات على شعر الخوارج السياسي ، فليس عندهم قصائد طويلة يتحدثون فيها عن السياسة إلا في القليل النادر .

وكان الارتجال سمة هذه المقطوعات أو الأبيات ، وقد اتسمت بتحديد الغرض ، ووحدة الموضوع ، وائتلاف المعاني التي ترد جميعها من مكان واحد ومحدد .

وكــان من الطبعي ، أن تتجه هذه المقطوعات إلى الموضوع مباشرة ، دون مقدمات طويلة أو قصيرة كما سبق أن أشرنا

٤- تشابه الأفكار :

معاني شعر الخوارج بصفة عامة ، محدودة ومحصورة بحدود حياتهم وأفكارهم ، تلك الحياة التي يبدو الفرد فيها عامة والشاعر خاصة وحدة أو نموذجا ، وتلك الأفكار التي يشترك فيها الجميع لا ينفرد أحدهم برأي ، أو يختص بفكرة ، لذلك تشابهت الأفكار ، وتكررت المعاني ، وإن اختلفت الصياغة لدي شعراء الخوارج جميعا .

٥- الاقتباس القرآني :

غلب على صياغة الشعر السياسي لدى شعراء الخوارج ، استخدام المعجم القرآني ، وصياغة المعاني القرآنية في قوالب شعرية ذات تأثير يأخذ بالقلوب والألباب ، والسر في ذلك يرجع إلى: تقديرهم لكتاب الله العزيز ، وتأثرهم بمضمونه وصياغته ، كما يرجع إلى طول عكوفهم على القرآن الكريم قراءة، وحفظا ومدارسة .

٦- الميل إلى البداوة :

الميل إلى لغة البادية ، من أبرز السمات الفنية التي يتسم بها شعر الخوارج السياسي ، وهذه البداوة نراها ماثلة في قوة الألفاظ وغرابة بعضها ؛ بسبب عدم شيوعها ، وقلة استخدامها .

وهــذه السمة البدوية تجعل شعر الخوارج يفيض بملامح القوة والصراحة ، في شكله وفي مضمونه .

٧- النغم الموسيقي الــمجلجل :

مال شعراء الخوارج في شعرهم السياسي ، إلي اختيار الإيقاعات القوية ، والجرس المجلجل، وربما فسر ذلك : أن أكثر الخوارج كانوا من أهل البادية ، ثم إن الخوارج عامة عزلوا أنفسهم عن مجتمع الحواضر الإسلامية ، وحرصوا على طبع حياتهم بطوابع خاصة متميزة عن حياة غيرهم من معاصريهم ، فضلا عن أثر الحماسة و الإحساس بقوة الحق ، وصلابة الرأي الذي يؤمنون به ، ويقدمون حياتهم فداءه ..

رابعا : سمات شعر الزبيريين :

كان قصر الفترة التي اعتبر فيها ابن الزبير خليفة ، وعدم تشكيل نظرية محددة الأبعاد ، يدعو إليها ابن الزبير وأعوانه ثم ما يروى من ضن ابن الزبير بالمال على الشعراء – كما سبق أن أشرنا في موضعه – سببا في قلة الشعر الزبيري ، وفتور الروح السائدة فيه ، وافتقاد القدرة على الاحتجاج للرأي من خلال انفعال صادق وقوي ، فغلبت عليه السطحية وعمومية المعاني

كما ارتبط الشعر الزبيري بالأشخاص ، لافتقاده النظرية الفكرية ، وارتبط بصفة خاصة بشخصية مصعب بن الزبير الذي تحمل العبء الأكبر في إرساء دعائم هذه الدعوة ، وإخضاع خصومها ، ودار أغلب هذا الشعر لذلك حول شخصية مصعب ، يصف بطولاته، ويشيد بعدله وطيب مسلكه ، ويصف ملامحه وطلاقة محياه .

وقد توزعت الأوصاف الدينية والإشادة بالجهود السياسية لمصعب ، وعبدالله أغلب النتاج الشعري الذي ينتمي لحزب الزبيري ، يضاف إلى هذا شيء من الغضب ، والثورة على الأمويين، وإن لم يكن الدافع وراءها إخلاص الولاء للزبيريين ، وإنما كان هناك ثأرات شخصية أو قومية للشعراء في أغلب الأحيان ، وهذا ما تشهد به النماذج السابق إبرازها .

هذا ، ولم تكن الحركة السياسية – بما توافر لها من مؤيدين ومعارضين – لمن تكن لتهدأ طيلة العصر الأموي وإن كان الشعر من أعلى الرايات المرفوعة خلال تلك الحركة ، مما يمكن معه القول : إن الشعر السياسي لم ينهض نهضة ملموسة ، ولم تتشكل له ملامح محددة في عصر كما هو الشأن في العصر الأموي ..

ولقد كان اختلاف الانتماء الحزبي الذي يتوزع ولاء الشعراء سببا في خلق نوع من الجدل والصراع ، والفن الذي يقصد إليه كل شاعر ؛ رغبة في تحقيق السبق والتفوق على خصمه – شاعر الحزب الآخر – مما أدى إلى تجويد الفن ، وأسرع بالنهضة الشعرية قدما ، ولعل أهم أثر فني للسياسة في ذلك العصر ، يكمن في : أنها استقطبت الفنون الشعرية ، وأدخلتها دائرتها ، فالمدح الذي ينسب للممدوح خصالا تؤهله لنيل حق ينازعه فيه غيره ، وتثبت له فضلا عن سواه ، هو مديح سياسي إن جاز هذا التعبير ، يتجه كليا إلى نسبة الكفاءة في تولي أمر المسلمين للممدوح ، وإثبات استحقاقه – دون سواه بالنهوض بذلك الأمر .

والهجاء ، هجاء سياسي يتجه إلى الخصوم والمعارضين ، يفند دعواهم ، ويسلبهم أسلحة المواجهة، والرثاء للقادة والساسة الذين خاضوا المواقف الحربية ، وخرجوا بالأمة من التفرق والاختلاف إلى الألفة ، ووحدة الصف ، والفخر ، وهو اعتزاز بالمؤهلات الدينية والسياسية، واحتجاج لصواب الرأي والفعل ، حتى يبدو الرأي مرفوضا من الجماعة ، ويبدو الفعل منافيا للروح الإسلامي .

وأغرب من هذا أن الغزل –أيضا– دخل دائرة السياسة ، بأن يتغزل الشاعر في نساء خصومه، ويذكر علاقات أو لقاءات تجمعه بهن ، لا يريد من وراء ذلك إلا التشهير والازدراء بهم ، والإساءة إلى نسائهم ([1]) .

---

[1] – يراجع : تغزل عبيد الله بن قيس الرقيات فى أم البنين زوج الوليد بن عبد الملك ، الديوان / ٢١٩ ، ويراجع: شعر العرجى فى أم محمد ابن هشام المخزومى والى مكة أيام هشام بن عبد الملك (فى الأغانى ، جـ١/ ٤٠٧) .

وهكذا ، مارست الحركة السياسية المضطربة دوما في العصر الأموي أثرها على الشعر والشعراء، فاستحق الشعر السياسي بذلك أن يكون الصوت الأعلى بين الأصوات الأدبية المسموعة في ذلك الوقت .

والحمدلله رب العالمين في مبدأ كل أمر ومنتهاه

أهم المصادر والمراجع [1]

أهم المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم :

١- الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز فى العقيدة ، حياة محمد جبريل ، الطبعة الأولى ، الجامعة الإسلامية ٢٠٠٢م.

٢- الأخبار الطوال ، لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى ، طبعة ليدن ١٩١٢م

٣- الأدب وتاريخه فى العصرين الأموى والعباسى ، د. على محمد حسن (العمارى) الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٩٨١م.

٤- الأدب الأموى ملامح وأعلام د. صلاح رزق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٥م.

٥- أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب د. على محمد الصلابى ، مكتبة فياض ، المنصورة ٢٠٠٧م .

٦- الأغانى ، لأبى الفرج الأصفهانى ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩م.

٧- أنساب الأشراف ،أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذُرى، دار المعارف ١٩٥٩م .

٨- البداية والنهاية ، للحافظ بن كثير ، تخريج وتحقيق أحمد جاد ، دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٤م .

[1] - روعى فى ذكر المصادر والمراجع الترتيب الأبجدى ، مع إغفال أداة التعريف (أل) .

٩- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبرى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحسينية المصرية .

١٠- دراسات أدبية فى عصر بنى أمية ، د. صلاح عبد التواب وآخرين ، مطبعة الحرمين ، طنطا ٢٠٠٥م .

١١- الدراسات الأدبية ، د. عبد العزيز نبوى وآخرين ، الهلال للطباعة والتجارة ١٩٨٥م .

١٢- ديوان الأخطل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، بيروت١٩٧٩م.

١٣- ديوان نابغة بنى شيبان ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢م.

١٤- ديوان الفرزدق ، جمع وتعليق : عبدالله إسماعيل الصاوى ، مطبعة الصاوى ١٩٣٦م.

١٥- ديوان جرير ، تحقيق : نعمان محمد أمين طه ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٨٦م.

١٦- ديوان أبى الأسود الدؤلى ، تحقيق عبد الكريم الدجيلى ، بغداد ١٣٧٣هـ..

١٧- ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٥٦م.

١٨- ديوان شعر الخوارج ، تحقيق د .إحسان عباس ، دار الشروق ١٩٨٢.

١٩- ديوان ابن قيس الرقيات ، طبعة بيروت (بدون تاريخ).

٢٠- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، طبعة الحلبى١٩٦٧م.

٢١- طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحى ، تحقيق : محمود شاكر ، طبعة المدنى ١٩٧٤م.

٢٢- العقد الفريد ، لأحمد بن عبد ربه الأندلسى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٣م.

٢٣- الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادى ، دار الآفاق ، بيروت ١٩٨٠م.

٢٤- القصائد الهاشميات ، الكميت بن زيد الأسدى ، بيروت ١٩٧٢م.

٢٥- الكامل فى التاريخ ،أبو الحسن على بن الأثير ، دار صادر –بيروت ١٩٩٥م .

٢٦- لباب الآداب ، مجد الدين أسامة بن منقذ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، مكتبة السنة ، القاهرة ١٩٨٧م.

٢٧- لسان العرب ، لابن منظور الإفريقى ، الطبعة الأولى ، دارصادر- بيروت –لبنان ١٩٩٠م

٢٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٨م .

٢٩- معالم التاريخ الأدبى فى العصرين الأموى والعباسى الأول ، د. حلمى حسن أبو العز ، مكتب الكرنك ، دمنهور ١٩٩٢م.

٣٠- مناقب آل أبى طالب ، لأبى جعفر محمد بن على السروى ، تحقيق د. يوسق البقاعى ، الطبعة الثانية ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ١٩٩١م.

٣١- مقاتل الطالبيين ، لأبى الفرج الأصفهانى ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعرفة –بيروت .